مجلة بحوث
كلية الآداب

البحث (٥)

القيم الدينية والاخلاقية
فى شعر البهاء زهير

إعداد

د / عزة محمد رشاد على سرج

قسم الإعلام التربوى - كلية التربية النوعية

جامعة بنها

السنة ٢٧ العدد (١٠٤) يناير ٢٠١٦م

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rifa2012@ Gmail.com

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القيم الدينية والاخلاقية في شعر البهاء زهير

د.عزة محمد رشاد على سرج
قسم الإعلام التربوي كلية التربية النوعية – جامعة بنها.

الخلاصة:

تمثل الدعوة إلى التحلي بالقيم الدينية والمبادئ الأخلاقية الفاضلة،والآداب الإسلامية السامية والانتصار لها اتجاهاً بارزاً في شعر البهاء ،والتي تنبع من إيمانه الراسخ ،وحرصه الشديد على إحياء تلك القيم والمبادئ والآداب السامية التي نادت بها ودعت إليها تعاليم الإسلام ،إلى جانب رسالته السامية في الكشف عن النقائص الخُلُقية،والآفات الاجتماعية السيئة المنحرفة عن المفهوم الإسلامي في الواقع المعاصر، ومحاولة معالجة ظواهرها والتعمق في النفس الإنسانية،والوصول إلى دخائلها.ومرجعيته واحدة لا تناقض فيها ولا اختلاف، وهي تنبئ عن ثبات في العقيدة ، والتزام بنصوصها وتوجيهاتها ،وصدق في التنفيذ والتطبيق.وكان طبيعيًا أن يكون القرآن المصدر الأساسي في تشكيل أخلاقياته وضميره ،ويليه من حيث الأهمية الحديث-مصدر الثقافة الإسلامية الثاني-، فهذان المصدران،وبخاصة القرآن أمده بحشد هائل من القيم الدينية والمُثُل الأخلاقية والآداب السلوكية لتكون نبراسا له في ظلمات الحياة. من أجل هذا تسعى هذه الدراسة إلى رصد جوانب تأثر شعر البهاء بالقيم الدينية والأخلاقية الفاضلة المستوحاة من تعاليم القرآن والسنة،عقيدةً وإيمانا وفكرا ،ومنهجا،وخُلُقا،وسلوكا، وواقعا اجتماعيا معاصرا،ولغةً ،و صياغة،وتركيبا.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مقدمة

تشكل هذه الدراسة محاولة للوقوف على القيم الدينية والأخلاقية الفاضلة في شعر البهاء زهير ،لاسيما بعد مرحلة شبابه المنصرم الذي أخذ فيه بقسط من الحياة السهلة الهانئة،وبزوغ الشيب الذي كان داعيا إلى ترك الطريق المنحرف،والندم بحرقةٍ وألم عما ارتكبه في سالف الأيام(١)،والإحساس بثقل الذنوب،والإنابة إلى الله طلبا للصفح والمغفرة ،فاشاعر إنسانٌ يخطىء ويصيب ،ولكنه لا يتمادى في الخطأ ،أو يصر على ممارسته وديمومته في وقت يغرق فيه الآخرون بالمنكرات ،ولا يمتثل لرغباتهم ،بل يدعوهم إلى العودة إلى منهج الهدى والرُشد .ولذلك يُعدّ الشاعر واحدا من أبرز الشعراء المصريين في النصف الأول من القرن السابع الهجري الذين اتكأوا على تلك القيم المستلهمة من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ،كما اتكأوا على مُثُله وسلوكياته الإسلامية، فتردد ذلك في شعرهم بألفاظ ،ومعان،وتراكيب إسلامية رائعة.

والواقع أن نظام المجتمع الإسلامي والعربي في ذلك الوقت كان مضطربا تسوده بعض المظالم والمفاسد الاجتماعية، فكثرت الأماكن المشهورة بالتنزه واللهو والطرب بالعواصم العربية،كما برز الساعون إلى السلطة،والراغبون في الثراء،وانتشرت الخيانة والوقيعة،وغلبت روح الوصولية والتملق والرياء على الأخلاق الكريمة .

وكان طبيعيًا ما دامت الحياة مضطربة فانية،وكل شيء فيها من نعيم وترف إلى زوال،أن تكون القيم الدينية والأخلاقية هي الملاذ والجسر الذي يعبر عليه الإنسان المسلم في رحلة الحياة الدنيا،إلى عالم الآخرة. ولَمّا كان القرآن الكريم هو الشريعة الإلهية الأخيرة التي فرضت سلطانها على من سبقها من شرائع سماوية،لِمَا تضمن من قواعد الشريعة،وأمهات الأخلاق،وجوامع الآداب والكَلِم؛أصبح المصدر الأساسي في تشكيل أخلاقيات الشاعر وضميره،فقد أمده بحشد هائل من القيم الدينية والمُثُل الأخلاقية والآداب السلوكية لتكون نبراسا له في ظلمات الحياة ،فلا يفارقه خلقه القرآني حتى في مواطن الغزل واللهو،فالعفة والطهارة ورفض الدَّنايا شعاره كما يقول:

وَإنّي وإنْ هزَّ الغرامُ مَعَاطفي لآبي الدَّنايا نَخوةً وتَعَزُّيا(٢)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومعنى ذلك أن البهاء كانت تحكمه نزعة دينية متجذّرة في أعماقه ونفسه تتعلق بعقيدته ونظرته إلى خالقه عز وجل والصورة المشكلة عنه في رؤيته ، وتمثُّله للقيم الدينية والأخلاقية السامية من صد ق ،ووفاء، وعفة، ودماثة خلق، وصفح، وكذلك تتمثل في موقفه من الآثام التي ارتكبها في حياته مع محاولته الكشف عن مسالكها، ثم الندم والاستشعار بالذنب والتقصير ،وإعلان التوبة والاستغفار والتضرع إلى الله بقبولها .

ولقد اتّبعت للوصول إلى تلك الرؤى والأبعاد الدينية،القراءة المتأنية والمتعمقة لديوان الشاعر ،وبيّنت أنه اتكأ على الكتاب الكريم، واستلهم كثيرا من ألفاظه وتراكيبه وأفاد منها في إغناءأسلوبه ،وصياغته،ومفرداته اللغوية ، وأحسن توظيفها في شعره ،كما أعانته ثقافته الإسلامية على تصريف مناحي القول الشعري بسهولة ويسر، و نجح في سحب ما جاء فيها على صعيد الحياة المعاصرة والعلاقات الاجتماعية.

ومن أجل الوقوف على رصد ودراسة القيم الدينية والأخلاقية والسلوك الإسلامية في شعره المستوحاة من التعاليم الإسلامية- قرآن وسنة-،وكشف العلاقات بين الابداع والفن من جهة،والدين من جهة أخرى،جاءت هذه الدراسة يسبقها نبذتان موجزتان أحدهما:عن علاقة الدين بالفن والشعر،وعلاقة الشعر بالأخلاق،والأخرى عن حياة البهاء زهير وشخصيته.

علاقة الدين بالفن والشعر:

ارتبط الفن بالدين منذ القدم، فكلاهما يهدف إلى رُقِيّ الإنسان والإعلاء من شأنه، وذلك بتوجيهه نحو الفضائل السامية،والغايات التي تحفظ إنسانيته وتوجهه نحو الخير والحق والجمال وتبعده عن الرذائل،فـ"الفن والدين صنوان في أعمال النفس وقرارة الحسّ،وإدراك الجمال الفني دليل استعداد لتلقي التأثير الديني حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى،وحين تصفو النفوس لتلقي رسالة الجمال"(٣)، كما أن"غاية الفن الامتاع والإفادة والتحريض على بناء مجتمع أفضل،وغاية الدين لا تخرج عن إسعاد البشرية واستمتاعها بحياتها،وسيطرة المثل الفاضلة على علاقات البشر والدول و

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحكام،والتهيؤ لعالم آخر..عالم أفضل.والتنفير من المظالم والانحرافات والعمل على هدمها..."(٤).

ومع أن الدين يلتقي مع الفن في الغاية،فإنهما يختلفان في الوسيلة ،فالدين وسيلته الوحي والرسل،وله أساليبه الوعظية المباشرة ،وأوامره ونواهيه،أما الفن فوسيلته لغته الخاصة،التي تتحرك من خلال العاطفة والوجدان وتحرك في الإنسان الرغبة في التسامي،والترفع عن السفاسف والنقائص بطريقة غير مباشرة.

وقد ناقش الشاعر الإنجليزي"ستيفن سبندر"**علاقة الشعر بالدين** ورأى أنهما يشتركان في الاهتمام بمشكلة الإيمان بالحياة،والربط بين الطبيعة العامة للحياة وبين الظروف المعيشية في زمان ومكان محددين(٥). وكأن الشعر يمنحنا مزيدا من البصر والبصيرة بالحياة والإنسان، وكذلك **يلتقي الشعر مع الأخلاق**؛لأنه يعد لسانها الناطق وأسلوبها المعبر عنها،و"كلاهما انطلاق من عالم الضرورة، وكلاهما شوق مجنح بعالم الكمال"(٦).فالشعر يُوْجد في نفس المتلقي الاستعداد النفسي لقبول الأمر الأخلاقي،ويقوي باعثه ،بينما يترك الأخلاق لتكمل بقية العملية الأخلاقية تهذيبا وتصحيحا للسلوك أو العقل الإنساني(٧)،كما أن غايتهما مشتركة في عنصري الجمال والكمال،وإن اختلفا في الوسيلة،"فبينما وسيلة الأخلاق الإرشاد والإقناع، إذ هي في الشعر تخيل وإمتاع"(٨).

ومعلوم أن الجمال والكمال قيمتان تطلقان على الأخلاق والسلوك والصفات، وهي قيم نسبية تنقص وتزيد ،ولأن الباعث لها (الإيمان) كذلك يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، قال تعالى: "إِنَّما المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ،وإذا تُلِيَتْ عليهم آياتُهُ زادتْهُمْ إيمانًا وعلى رَبِّهِمْ يتوكَّلُونَ"(٩). فحسن الخلق هو ثمرة الإيمان،كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أَكْمَلَ المؤمنينَ إيمانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"(١٠).ولا ننسى وصف القرآن أخلاقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: "وإنَّكَ لعلى خُلُقٍ عَظِيمٍ"(١١).

ولا ريب أن الأخلاق في غياب الدين لا قيمة لها، فالدين يحول دون انسياق الإنسان وراء شهواته وملذاته ،ويدعوه إلى كبح جماحها ولزوم الفضيلة والسلوك القويم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

،كما يقف ضد التصورات العقدية الضالة ،والتفسيرات الخاطئة لعلاقة الإنسان بالحياة من حوله.سُئِل النبي صلى الله عليه وسلم عن معادِن العرب،فقال:"أفَعن معادِن العَرب تسألُونَني؟ قالوا:نعم. قال: فخيارُكُمْ في الجاهليَّةِ خِيارُكُمْ في الإسلام إذا فَقِهُوا"(١٢).

وفي هذا الحديث الشريف بيان صريح لقواسم مشتركة بين مكارم الأخلاق في الجاهلية وفي الإسلام،وأن تفوق الأخلاق في الإسلام يرجع إلى التفقه في الدين ،أي يجعل الغاية الأخلاقية غاية دينية .وهي الإضافة التي قدمها الإسلام إلى الأخلاق العربية التي كانت سائدة في الجاهلية. وقد أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "إنَّما بُعِثتُ لأُتَمِّم مَكارِمِ الأخلاقِ" (١٣).

على أية حال تعد الدعوة إلى التحلي بالقيم الدينية والأخلاق الفاضلة والتمسك بالخصال الحميدة ، مبدأ جوهرياً من مبادئ الدين الحنيف وتعاليمه ، فالقرآن الكريم هو دستور الأمة الإسلامية الأعظم ؛لأنه يتفق مع حياتهما الروحية والمثل العليا التي انتظمت في تعاليمه من ناحيتين هما: العقيدة والعمل.

وقد أحاط الإسلام المجتمع بمنظومة من القيم الدينية والخلقية،تم على أساسها تربية النفس وتهذيبها منها:الإيمان بوحدانية الله والقضاء والقدر،والتقوى والصبر،و التسامح،والتزام الصدق والوفاء والحياء والسخاء،والالتجاه إلى الله ،والقناعة،والتوكل على الله،والانقطاع عن الشهوات،ونهي النفس عن الهوى ،والتغافل عن زلات الناس، والعودة الى منابع الدين الحنيف والتحلي بأخلاقه. مع التأكيد على أن الوازع الديني هو الوحيد القادر على إحداث تغير تام وتأثير ملموس في خلق الإنسان-كما سنرى-

حياة البهاء زهير وشخصيته:

يُعَد زهير بن محمد بن على المهلبي العتكي،بهاءالدين(١٤)، واحدا من أبرز شعراء العصر الأيوبي ،وعلما من أعلام الشعر المصري في النصف الأول من القرن السابع الهجري.ولد بمكة في الخامس من ذي الحجة سنة ٥٨١هـ(٢٧ فبراير سنة ١١٨٦م) ، ثم انتقل إلى مصر، وأقام بمدينة قوص عاصمة الصعيد وقتئذ، ونشأ وتعلم على خيرة علمائها ،واستقى من نبع الثقافة المصرية الزاهرة فيها ،والتقي بأدبائها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المرموقين فنضجت موهبته ، كما تلقى الروح المصرية وتشربها فجرت في عروقه مجرى الدم حتى صار "مصريُّ المَنْشَأ،مصريُّ الروح،مصري العاطفة" (١٥).كان من فضلاء عصره ،اتصل بأعيان وكبار رجال الدولة الأيوبية مثل الملك الصالح نجم الدين أيوب وكتب له بعد أن ولاَّه ديوان الإنشاء ،"إلا أن كتاباته ورسائله لم تشتهر اشتهار شعره"(١٦) .وكان له مخلصا، وارتحل بعد وفاة الملك الصالح إلى بلاد الشام، فلم يجد مبتغاه هناك فعاد إلى مصر ولزم داره. وعاش أيامه الأخيرة فقيراً معدماً حتى اضطر إلى بيع ما يملكه وكتبه. وتوفي في الرابع من ذي القعدة سنة ٦٥٦هـ(٢نوفمبر سنة ١٢٥٨) بمرض عظيم ألم به بمصر.ودُفن قرب قبة الإمام الشافعي.

صفاته: عُرِف البهاء زهير بنبل خلقه ،وحميد خصاله وعزة نفسه ووفائه لممدوحيه وأصدقائه،واثنى ابن خلكان في معرض حديثه عن مكارم أخلاقه بقوله:"كنت أودّ لو اجتمعت به،لما كنت أسمع عنه،فلما وصل،اجتمعت به،ورأيته فوق ما سمعت عنه من مكارم الأخلاق،وكثرة رياضته،ودماثة السجايا.." (١٧)

أدبه: يُعَد أدبه صورة حقيقية ومرآة صادقة لمناحي حياة مجتمع عصره،وابتدع فيه نمطا جديدا خرج به عن التقاليد المرسومة في صور المخاطبات وفي الأساليب والألفاظ والأوزان؛ فهو مُوجِزٌ، بسيطٌ ،مُقتصدٌ في زينة اللفظ، بعيد عن التكلُّف، نَزَّاعٌ إلى الوضوح واختيار الألفاظ السهلة والأوزان الخفيفة ،عدوٌّ للجمود الذي يقتل مواهب الابداع والتفنن ،وكأنه" يريد أن يصحح الشعراء والكتاب أساليبهم على مقتضى القواعد العربية ،حتى لا تنقطع الصلة بين ماضيهم وحاضرهم،من غير أن يجني ذلك على سهولة التفاهم،ولا على حركة اللغة ونموها "(١٨).

له ديوان شعر طُبع منذ عهد قديم بمصر ،وأُعيد طبعه مرارا، وأوَّل طَبَعاته طبعة حَجَرية بمصرسنة١٢٧٧هـ،وطبع بكمبردج،سنة ١٨٧٦ تحقيق ونشر "إدور هنري بالمر" كما ترجمه إلى الإنجليزية . ثم نشرته دار صادر – دار بيروت سنة ١٩٦٤ على حروف المعجم . نظم في أكثر أغراض الشعر، وبخاصة في مجال الشكوى من الناس ومن الدهر والدعوة إلى الاستغناء عنهم والزهد في حطام الدنيا ،والتزم بالقيم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفاضلة، والأخلاق السامية في شتى أغراضه ،وهي تنبئ عن الثبات في العقيدة والالتزام بنصوصها وتوجيهاتها . وشعره رقيق لطيف الوقع في القلوب والآذان ،لا تعقيد فيه ولا إغراب .وهو كما يقال السهل الممتنع.

وكان **شعره الذاتي**-كما سنرى لاحقا-صورة حية لنفسه وشخصيته ،نتبّن فيه ملامح لشخصية الإنسان المتدين الملتزم بالنهج الرباني القويم،المؤمن بعقيدة التوحيد، والتسليم لقضاء الله وقدره ،الممتثل لأوامر الله وطاعته،العف،الكريم، دَمِث الأخلاق، المرح،المتفائل،الوفي الذي يحافظ على الود والعشرة،ويتجاوز عن حقد وأذي الآخرين ، ويألف ويُؤلف ويحبهم ويحبونه،ويأسى أسى رقيقاعلى ما علق في نفسه من آثام أيام الشباب ،ولا يجد أمامه إلا التوبة راجيا العفو والمغفرة من ربه الكريم. أما **أدبه** الرسمي فصورة للحياة الرسمية فى القصور،والحياة السياسية في العصر، كما يقفنا على أسرار من طبائع الناس وظروف الحياة والعيش، والتقاليد والأقوال المأثورة،فهو "وثيقة أدبية فنية اجتماعية "(١٩).

ليس مقصدنا أن نتوسع في دراسة البهاء زهير ، بقدر ما نروم أن نسلط الضوء على مسألة القيم الدينية والأخلاقية في شعر شاعر اتُّهم أحيانا بتهالكه وذوبانه في بعض أشعاره ،وإطلاق مثل هذا الحكم ، فيه إجحاف ، فالبهاء فيه طبع المصريين اللذين يتمسكون بالقيم الدينية والأخلاقية الراسخة في أعماقهم وتكاد تجري منهم مجرى الدم...

القيم الدينية والأخلاقية في شعر البهاء:

يلحظ المتتبع لديوان البهاء أن ثمة نزعة دينية متجذرة في نفس الشاعر ،موجِّهه لسلوكه وأقواله وأفعاله وتصرُّفاته الحياتية، ويؤمن إيمانا جازما بالله تعالى، ويرتضي بسبيله عقيدة ومنهجا ،وأنه خالق كل شيء،وعلى الإنسان أن يمتثل لأوامره وقضائه ،وينبذ الضلالة ،ويغتنم الفُرَص المواتية لتحقيق الخلق الإسلامي النبيل قبل فوات الأوان. ويظهر ذلك الإيمان وتلك العقيدة من خلال ترديد لفظ الجلالة "الله" في ديوانه أكثر من مائتي موضع،باعتبار أن"هذا الاسم من أعظم الأسماء الحسنى،لأنه دال

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على الذات الجامعة لصفات الألوهية كلها، حتى لا يشذ منها شيء،ولأنه أخص الأسماءإذ لا يطلقه أحد على غيره لا حقيقة ولا مجازا"(٢٠) فمن القسم قوله:

وواللهِ ما مِثْلي مُحِبٌّ ومُشْفِقٌ   وسوفَ إذا جَرَّبْتَ غيري تَذكُرُ (٢١)

ويقسم بالله في موضع آخر أن زيارته وإتيانه للممدوحه ليست إلا محبةً فيه،ولما يجده عنده من فضيلة ،يقول:

وَواللهِ ما آتيكَ إلا محَبَّةً   وإنّي في أهْلِ الفَضيلةِ أرْغَبُ(٢٢)

ويقسم في موضع ثالث أنه غير آسف على صُحْبة الغادر الذي يُتعبُ القلب والخاطر ،وليس فيه خصلة محمودة تُذْكر ،يقول :

وَاللهِ ما فيكَ ولا خَصْلَةٌ   مَحْمودَةٌ يذْكرُها الذَّاكرُ(٢٣)

ويقسم أن مدينة دمشق المتألقة تزداد جمالا وتألقا حينما تحتضن ممدوحه ،فيقول:

وواللهِ ما زالت دمشقُ مَليحةً   ولكنَّها عندي بكَ اليومَ أمْلَحُ (٢٤)

ويقسم بالله وبصفاته(السميع،المجيب)في موضع خامس عند إشارته إلى زوال الشباب، وما فيه من لهو ونعيم،وبكائه علي تلك الأيام الخوالي،لعل الدمع يُعيد سالفها، ولكن هيهات فلن يسمع الشباب تلك الأمنيات ،ولن يعود ثانية (٢٥)

ويعتقد الشاعر أن النجاح في الدنيا يأتي من خلال **الالتزام بالنهج القويم** والسير على طريق الهداية والصلاح،ونبذ الضلالة والإفساد في الأرض،وهي قيم دينية نابعة من القرآن الكريم"فأي نتاج أدبي يصدر عن هذه القيم الإسلامية،ويدور في فلكها، إن هو إلا ممثل لهذا الاتجاه،ونحن حينئذ إنما ننظر إلى ما قيل لا إلى من قال"(٢٦) ،ويقسم بذلك قائلا:

وكمْ تصحَبُ منْ يُفْـ   ـسِدُ في الأرضِ ولا يُصْلِحُ

فباللهِ متى يُفْلِـ   ـحُ مَن ليس يُرى يُفْلِحُ(٢٧)

ويدعو الشاعر من خلال شعوره الإسلامي المتغلغل في وجدانه وأعماقه الإنسان النائم الذي غرق في ملذات الحياة،وتناسى الله وحقوقه إلى الالتزام بالنهج الرباني والسير على طريق الحق والتقوى،**وذكر الله وتسبيحه** ،والقيام لأداء صلاة الصبح ،وعدم التثاقل في ذلك،فأول ما يُحاسب عليه العبديوم القيامة من حقوق الله الصلاة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما يحثه على **التحلي بالصبر**؛لأنه من التقوى والرضا بقضاء الله وقدره ،فإذا ضاقت به السُبل أوحَزبه أمر ،وتعرض لمكروه ،فعليه ترقب الفرج من معينه ونصيره،فكل شدة إلى انفراج،وبعد العسر يسر، فالأمور تتغير وتتبدل،والأيام دول متقلبة،من أجل ذلك لا تضيع عمرك هباء في اللهو،وطريق الحق واضح ، فمن سلكه ربح،ومن تركه خسر.وربما يرجع مصدر هذه الرؤية إلى إيمانه بعقيدة التوحيد،التي لا تنفصل عن الابداع الفني؛(لأن الصلة بين العقيدة وبين الفن صلة قوية ،متجذرة مع التاريخ الثقافي للإنسان،وعضوية متأصلة في تفكيره في كل زمان ومكان)(٢٨). يقول:

ألا أيُـها النّـائـِ	مُ إنَّ الليلَ قدْ أصْبحْ
وهذا الشّرْقُ قد أغلـ	ـنَ بالنُّورِ وقد صَرَحْ
أَلـمْ يُوقِظْكَ من ذكـ	ـر باللهِ ومنْ سَبَّحْ
فما بـالُ دَواعِيكَ	إلى الخيْراتِ لا تَجْنَحْ
إذا حَرّكَكَ الذِّكْرُ	تثاقَلْـتَ ولـمْ تبرَحْ
أَضَعْتَ العُمرَ خُسرانَاً	فبالله متـى ترْبَحْ
لقد أفْلَحَ من فيه	يقولُ اللهُ قد أفلحْ
إذا أصْبَحتَ في عُسْرِ	فلا تحزَنْ لهُ وَافرَحْ
فبَعْدَ العُسْرِ يُسرٌ عا	جِلٌ وَاقْرَأْ ألم نشرَحْ(٢٩)

وهذا تأثر واضح بالمعاني والمضامين القرآنية،ففي البيت الأول إشارة إلى قوله تعالى:"وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وقَبْلَ الغُروبِ،ومنَ اللَّيلِ فَسَبِّحْهُ وأَدْبارَ السُّجودِ"(٣٠)،والبيت السابع تلميح لقوله تعالى:""قد أفلح المؤمنونَ الذينَ همْ في صلاتِهِم خاشعونَ،والذينَ هم عن اللغوَ مُعْرِضُونَ"(٣١)،وقوله تعالى:"قد أَفْلَحَ من تَزَكَّى" (٣٢). وفي البيتين الأخيرين اقتباس لقوله تعالى:" فإنَّ معَ العُسْرِ يُسْراً،إنَّ مع العُسْرِ يسْراً"(٣٣).

ولعل دعوة الشاعر في المقطوعة السابقة دعوة صريحة ومباشرة إلى الإنسان الغافل ليتبع النهج القويم، والسير على طريق الحق،وإنها نابعة عن إحساس عميق بالمسؤولية، والشعور الإسلامي المتغلغل في وجدانه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويلح الشاعر في دعوة أصحابه إلى اتباع طريق الهدى والحق والرشاد،ويترك طريق الغي والضلال والفساد ،لأن مسالكه غير محمودةٌ عُقباها،وهنا يتساءل مستنكراً عن هوية هؤلاء القوم ،فيقول:

أيَا مَعشَرَ الأصْحَابِ مَالِي أرَاكُمُ   علىَ مذْهَبٍ واللهِ غيرِ حَمِيدِ
فهلْ أنتُمُ من قَومِ لُوطٍ بقِيَّةٌ   فما مِنْكمْ من فعلِهِ برَشِيدِ
فإنْ لمْ تكونوا قَومَ لُوطٍ بعينِهِمْ   فما قومُ لُوطٍ مِنْكُمُ ببَعِيدِ (٣٤)

وهذا المعنى مستقي من قوله تعالى:"كذَّبتْ لوطٍ المُرسلين،إذ قال لهم أخُوهُمْ لوطٌ ألا تتقونَ ،إني لكمْ رسولٌ أمينٌ، فاتقوا اللهَ وأطيعونِ" (٣٥).

وإذا كان الشاعر يعتقد أن طريق الحق غاية الإنسان ، فإنه ينظر في أسماء الله وصفاته العلى، ويتدبر معانيها،ويؤمن بها،ويسلم لها،رغبة وثقة بتحصيل الخير ،ويرى أن الأرزاق مقدرة ومكفولة من عند الله،وإذا سألت فسأله عز وجل ولا تطلب الرزق إلا منه،فهو معطيك من فضله يقول:

أأطلُبُ رِزقَ اللهِ من عندِ غَيرِهِ   وأستَرزِقُ الأقوامَ واللهُ رَازِقِ(٣٦)

وفي هذا ربما يتكىء على قوله عز وجل:"إنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ" (٣٧) ،وقوله تعالى:"هو الذي جعلَ لكُمُ الأرضَ ذَلولا فامشوا في مناكِبِها وكلُوا من رِزْقِهِ وإليْه النُّشُورُ"(٣٨).

ولا شك أن الشاعر حينما يستلهم ويسترفد معانيه وأفكاره من القيم الدينية شكلا ومضمونا، إنما يصدر عن رؤية واقعية أساسها التغني بالجمال الفني،الصادر عن الواقع المعاصر ،وهي الغاية التي من أجلها خلق الإنسان؛ لذا ينبغي"..أن يكون القرآن الكريم في مقدمة ما يجب أن يراجعه الفنان، وهو يتعامل مع الحياة ،ومعطياتها بفنه ، وأن يجعله من أهم مصادر وسائله وغاياته"(٣٩).

وتتجلى عقيدة التوحيد والإيمان بالله وحده في أن تُخلص له النيات والأقوال والأعمال في سائر الحالات، فتتطابق الأقوال والأعمال،وتحرص على صفاء نفسك، ونقاء ضميرك،وتجعل سره كعلانيته،وتتجه إلي مولاك في كل أمورك، لاعتقاد المسلم أن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين،فقد فاز من اعتمد عليه وتحرر من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التعلق بغيره،لأن التوجه والتفكير في اللجوء لغيره وسوسة،وكل ما خلاه باطل مرفوض، يقول:

اخلِصْ لرَبِّكَ فيما كانَ من عَمَلٍ ... ولْيَتَفِقْ منكَ إسرارٌ وإعلانُ

فكلُّ فِكْرٍ لغَيرِ اللهِ وَسْوسَةٌ ... وكلُّ ذِكْرٍ لغيرِ اللهِ نِسيانُ(٤٠)

وهذا تأثر واضح بقوله تعالى:"يأيها الذين أمنوا لِمَ تقولونَ ما لا تفعلُونَ كَبُرَ مقْتًا عند اللهِ أنْ تقولوا ما لا تفعلُونَ"(٤١) ،وقوله تعالى:"من شَرِّ الوَسْواسِ الخَنَّاسِ الذي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ النَّاسِ"(٤٢).

ويقول مؤكدا إيمانه بقدرة الله على معرفة ما يستسره المرء في نفسه من نيات :

إن لي نيةً وقد علِمَ اللهُ ... بها وهو عالِمُ النيّاتِ (٤٣)

وكثيرا ما نجد شعره مملوءاً بِرَدِ كلّ شيء إلى الله تعالى **خالق كل شيء** وهو رب العالمين،**علَّام الغيوب والسرائر** وما تُخفي الصدور ،يقول:

ولكمْ كَتَمْتُ صَبابتي واللهُ علَّامُ الغيوب (٤٤)

وهذا تأثر بقوله تعالى:"قُلْ إنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بالحَقِّ عَلَّامُ الغُيُوبِ"(٤٥).ويقول:

واَعلمْ بِأنَّ اللهَ لا تَخْفى عليهِ خَافِيهْ (٤٦)

وهذا اتكاء على قوله تعالى:"إنَّهُ يَعْلَمُ الجَهْرَ وما يَخْفى:سورة الأعلى:آية٧. وأيضا يقول:

لي في الغَرامِ سَرِيرَةٌ واللهُ أَعْلَمُ بالسرائرِ(٤٧)

ويصدق الشاعر **ويؤمن بالتسليم للقضاء والقدر** وهو من أركان الإيمان،فما شاء الله كان ،وما لم يشأ لم يكن،وهو يترك الأمور للمقدور،ويرضى بما قدره الله، فـ(الإنسان المسلم لا يكتمل إيمانه إلا بالقضاء والقدر،وهما يأتيان من عند الله،ولا دخل للإنسان في صنعهما)(٤٨)،و"قدر الإنسان لا تحكمه حتمية تاريخية،أو اقتصادية ، أو تعقد العلاقات الاجتماعية،أو آلهة متعددة تتماثل أفعالها مع أفعال البشر،بل قدر الإنسان هو ما أراده الله لهذا الإنسان في حدود ما يفعل،وما ينتج من سلوك،لا سيما وقد أوضح أمامه طريق الخير،وطريق الشر"(٤٩)،وإنما يجزى على ما أراده وباشره بمحض اختياره من طاعة أو معصية،فمن أطاع فهو أهل للثواب، ومن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عصى فهو محل للعقاب،ومن تاب فإن الله تعالى يتوب على من تاب ،لذا ينبغي على الإنسان أن يحسن استعداده للموت،ويمتثل لطاعة الله وأوامره ،ويغتنم زمانه قبل فوات الأوان،فلكل إنسان أجل محدود ويوم معلوم ، والأيام دول تتقلب من حال إلى حال، وسعادة وشقاء الإنسان لا صلة لها بتدخُّل أبراج الحظ السماوية ، وقضاء الله نافذ لامحال ولارد له إذ يقول:

ضيَّعْتَ عُمْرَكَ فاحْزَن إنْ فَطِنْتَ لهُ ... فالعُمْرُ لا عِوَضٌ عنْهُ ولا بَدَلُ
سابِقَ زمانَكَ خوْفاً منْ تقلّبه ... فَكَمْ تَقَلَّبَت الأيَّامُ الدُّوَلُ
وَاعْزِم متى شِئتَ فالأوقاتُ واحِدةٌ ... لا الرَّيثُ يَدْفَعُ مَقْدُورًا ولا العَجَلُ
لا تَرْقَبِ النَّجمَ في أمْرٍ تُحاوِلُهُ ... فاللهُ يفْعَلُ لا جَدِيٌّ ولا حَمَلُ
معَ السَّعادَةِ ما للنَّجمِ منْ أثَرٍ ... فلا يغرَّكَ مريخٌ ولا زُحَلُ
الأمرُ أعظمُ ، والأفْكارُ حائِرَةٌ ... والشَّرعُ يَصْدُقُ والإنسانُ يمتَثِلُ(٥٠)

ففي هذه الأبيات إشارة واضحة لفكرة الإيمان بقضاء الله وقدره،وامتثال الإنسان للتشريع الإلهي،فإنه تعالى يفعل بإرادة ومشيئة،فإذا أراد فعل شيء فعله،فلا يمنعه مانعٌ،ولا يمتنع منه شيء.وهنا يكاد يكون الشاعر قد التفت إليها في قوله تعالى:"ليقضىَ اللهُ أمْرًا كان مفْعولا"(٥١).

ويقتضي الإيمان بالقدر من المؤمنين **التسليم** لله تعالى عند المصائب،**والشكر** له عند النعم، فهو رحيم،ورحمته واسعة بعباده، فإن طغت الهموم والخطوب وتثاقلت، ،فعليهم**التحلي بالصبر والرضا بقضاء الله وقدره**، وترقب الفرج،لأنها إلى زوال مثلما تزول المسرات،فلا دوام للخطوب والهموم،والأفراح والمسرات، وكلما زاد الخطبُ ، وعظم أمره كان الأجر عظيما على قدره ،يقول:

أيُّها الحامِلُ همّ ... إنَّ هذا لا يَدومُ
مِثْلَما تَفْنَى المسَرا ... تُ كذا تفْنَى الهُمومُ
إنْ قَسَا الدَّهْرُ فإ ... نَّ اللهَ بالنَّاسِ رحيمُ
أو ترى الخطبَ عظيما ... فكذا الأجْرُ عَظيمُ (٥٢)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ودعاء الله تعالى وحده من أعظم أسباب الوقاية من سوء ما يجري به القضاء،ودفع البلاء،والاستغناء به عن الخلق؛لذا راح الشاعر يلح على الله تعالى بدعائه وبالثناء عليه سبحانه،رجاءَ مغفرة ذنوبه وخطاياه،و طمعا في كرمه وحلمه ورحمته،معترفا بنعمه الكثيرة التي أسبغها عليه،معتمدا في ذلك على الإقناع العقلي، يقول:

يارَبِّ قد أصْبَحتُ أرْجُوكَ وأرجو كَرَمَكْ
يارَبِّ ما أكثَرَ ما كثُرَتْ عندي نعمكْ
ياربِّ عن إساءتي ياسيِّدي ما أحْلَمَكْ(٥٣)

ويلح الشاعر بالدعاء إلى ربه الكريم، كلما ألم به أمرٌ وخَطْبٌ جللٌ ،عسى أن يفرّج كربته،ويخفف عنه همه؛لقناعته أن "ومنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لهُ مَخْرَجا" (٥٤)، فلا رجاء إلا لله،ولا ملجأ إلا إليه،يقول:

ياربِّ ما أقرب منْك الفَرَجا أنتَ الرَّجاءُ وإليكَ المُلْتَجَا
ياربِّ أشْكُو إليكَ أمْرًا مُزْعِجًا أبْهَمَ لَيْلُ الخَطْبِ فيه وَدَجَا
ياربِّ فاجْعَلْ لي منه مَخْرَجا (٥٥)

ويؤكد أن لا ملجأ للشكوى وتخفيف الآلام سوى التوجه إلى الله،وتفويض الأمر إليه،والتحرر من التعلق بغيره:

تَعَبٌ لا حمْدَ فيه لا ولا عيْشٌ حَميدُ
وأرى الشَّكْوى لغيْرِ اللهِ شيء لا يُفيدُ(٥٦)

ويطلب ممن يخاف أمرا أن يلتجئ إليه تعالى ويلوذ به،فهو بلا شك يجيب دعاء المضطر إذا دعاه ،يقول:

أيُّها الخائِفُ مِنْ أمْرٍ عنَّا هُوَ عَسَاهُ
لكَ رَبٌّ لمْ يَخِبْ قَطُّ لَدَيْهِ مَنْ رَجَاهُ
فادْعُهُ فهو بلا شَكٍّ مُجيبٌ من دَعاهُ
وإذا كانَ لكَ اللهُ فَلا تَسْألْ سِواهُ(٥٧)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي هذا تأثر واضح بقوله تعالى:"أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ"(٥٨). ويُلاحظ أن الشاعر لا يكتفي بالدعاء لنفسه والاستغفار من الذنوب،والتضرع إلى الله بقبول دعوته فحسب، بل يلح على الله بدعائه لمن يألفهم ويألفونه ويحبهم ويحبونه بظهر الغيب أثناء قيامه بأداء الصلوات–الخمس ونوافلها–التي تنهى عن الفحشاء ،يقول مهنئا السلطان الملك المنصور نور الدين بعيد النحر مستحضرا تركيب"والشَّفْعِ والوَتْرِ":

وهَا أنا أَدْعُو لكَ اللهَ دائِمًا مع الصَّلواتِ الخَمسِ والشَّفْعِ والوَتْرِ(٥٩)

وقد وردت الإشارة نفسها في سورة الفجر:آية٣ في قوله تعالى:"والشَّفْعِ والوَتْرِ".

ويقول في الأمير مجد الدين إسماعيل بن اللمطي:

لكَ في الأرضِ دُعاء سَدَّ آفاقَ السَّمَاء
وتَلَقى بِقَبُولٍ حسَنٍ فيك دُعائي(٦٠)

ففي البيت الثاني إشارة لقوله تعالى:"فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا" (٦١). ويقول داعيا وراجيا ومتوسلا إلى المولى الكريم بأن يشفع لمحبوبته،ويهديها إلى سبل الرشاد،والتقى والعفاف،وأن ييسر لها طريق التوبة،ويتجاوز عن ذنوبها ويغسلها بماء التقوى،ويخفف من عذابها،طمعا بلطفِهِ وغفرانِه وكرمِه،ورحمته،،فالله المرتجى،وإليه الملتجأ ،:

يارَبِّ عَجِّلْ لها بِتَوْبتها واغْسِل بماءِ التُّقى خَطاياها
إنْ تَكُ يا سَيِّدي مُعَذِّبَهَا منْ ذا الذي يُرْتَجى لرُحْماها
فالْطُفْ بها واغْتفِرْ لها كرَمًا إنكَ خَلَاقُهَا وَمَوْلاها (٦٢)

وهذه مناجاة رقيقة خرجت من قلب محب يرجو رحمته ويخشى عذابه،ومعلوم أن الخشية صفة عباد الله الصالحين.وهي تدل على زيادة إيمان الشاعر وترسيخ القيم الدينية والأخلاقية في نفسه .

ومن غير شك أنه كان يؤمن بمجئ اليوم الآخر،وأن القبر أول منازل الآخرة ؛ لذا يتساءل عن يوم وفاته ،وأين سيُقبر ،فهو لا يدرى بأي أرض يموت ويُقبر فيها ، يقول:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ليتَ شِعْري ليتَ شِعْري أيَّ أرضٍ هي قَبْري
ومتى يَوْمُ وَفاتِي ليتني لو كُنْتُ أدْري(٦٣)

وفي هذا التفات إلى قوله تعالى:إنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ الساعةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ ما في الأرْحامِ وما تَدْرِي نفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَدًا وما تدْري نَفْسٌ بأيِّ أرْضٍ تَموتُ"(٦٤). وإيمان الشاعر بالجنة يُعَد من"أسس العقيدة الإسلامية،واليوم الآخر" (٦٥)، يقول في مِصر"جنة الحسن":

وكيفَ وقَدْ أضْحَتْ من الحُسْنِ جَنَّةً زرَابِيُّها مَبْثُوثَةٌ والنَّمَارِقُ؟(٦٦)

وفي هذا أثر واضح لقوله تعالى:"ونمارقُ مصفوفةٌ ،وزرابىُّ مبثوثةٌ"(٦٧). ويُسَلم لأحكامِ المولى تبارك وتعالى،**ويؤمن إيمانا جازما بصدق حكمه** بين الخلق بالعدل والحق، يقول:

حَكَمَ اللهُ بهذا إنَّ حُكْمَ اللهِ عَدْلُ (٦٨).

وبعد، فهذه الومضات الإيمانية والسبحات الروحية في النصوص الشعرية مستمدة من معين عقلى وروحي لا ينضب،ومتمثلة لمنظومة القيم الدينية من حيث اعتقاده– البهاء– بوحدانيته عز وجل،والسير على النهج الرباني وطريق الحق ،وذكر الله وتسبيحه ،وعدم التثاقل في ذلك ،ونصح أصحابه باتباع مذهب الحق ،والإيمان بحتمية قضاء الله وقدره ،مع ضرورة التحلي بالصبر إذا ما تعرض الإنسان لمكروه،وتعاظمت عليه الهموم ،وتكالبت عليه المحن،والتوكل على الله، طمعا في رحمته ،واستزادة في الأجر العظيم المدخر يوم القيامة .وهي تنم لنا عن غزارة فكر، ورقة وصدق عاطفة،وصفاء نفس،ونقاءسريرة ، وقلب خاشع يُصفي عصارته في قالب شعري روحي لغة و صياغة ،وفكرا وتوجيها ونصحا.وهي رؤية منهجية تعبر عن رؤية واقعية يعيشها الشاعر في واقعه اليومي، ويمارسها على صعيد معاملاته مع الآخرين في مجتمعه.

وقد استطاع الشاعر أن يعبر بهذا الفن عن عقيدته الإيمانية الصادقة،وحين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يعبر الفن عن حقيقة العقيدة فإنه لا يعمل على رفعة البشرية،وإطلاقها من الضرورة،والقيد والانحسار،في النطاق المحدود فحسب،بل إنه من الوجهة الفنية البحتة يكون فنا كونيا يعبر عن حقيقة الوجود(٦٩).

وإذا كان البهاء يُقرّ بهذه العقيدة الإيمانية الصادقة،ويعترف بوحدانية الله تعالى،الإله المستحق للعبادة،وحده لا شريك له،وأنه خالق كل شيء،عالم السر وأخفى،الرزاق، السَّميعِ، المُجيبِ ،الرحيم،الحكم،العدل وغيرها من صفات العظمة والجلال والجمال ،واللهج بذكره في سائر الأحوال تلذذا بذكره،وطلبا لمثوبته،وتحقيق ذلك باتباعه مذهب الحق والرشاد،ونبذه مذهب الضلال والفساد،والإيمان بحتمية قضاء الله وقدره ،وأنه علّام الغيوب،وسرائر القلوب والنيات، مع ضرورة التحلي بالصبر ؛لأن في الصبر الرضا بقضاء الله وقدره وهذا من أركان الإيمان و علامات التقوى.وكذلك بدعائه سبحانه وحده،وسؤاله جميع الحاجات،والتوكل عليه،وتفويض الأمر إليه،والتحرر من التعلق بغيرهوالاستغناء به عن الخلق،فإن هذا من أعظم أسباب صلاح قلبه وسلامته،وزكاة نفسه وطهارتها،ونور بصيرته واهتدائها.وهنا ستكون بطبعة الحال أخلاق الشاعر مستمدة من القيم الأخلاقية الإسلامية- الكتاب والسنة -في شتى مجالات الحياة للفوز بجنان النعيم في دار الخلود.

والمتفحص لديوان البهاء يلحظ أن كثيرا من تراكيبه ومعانيه استمدّت طرحها من القيم الإسلامية ،وكذلك امتثاله **للأخلاق الإسلامية**،والانتصار لها ،لسموها ،باعتبارها أعظم وأجمل وأندر ما في الكون والحياة كلها.

ولعل شعره الذاتي كان صورة حية لملامح شخصيته،فهو إنسان متدين ملتزم بالنهج الرباني القويم، مؤمن بقضاء الله وقدره،وبعقيدة التوحيد ،كما يتسم بفضائل خلقية سامية منها: **الألفة**،**والوفاء**،**والوقار**،**والاتزان**،**ودماثة الخلق**،**مع تفضيله الالتزام بالصمت**على أن يخوض في مآثم المجتمع ومعاصي أهله ،فربما يكون العابد أقرب إلى الله في صمته منه في صخبه؛لذا اتخذ خلوات له تجنبا لأذي الناس.يقول معددا شمائله وأخلاقه :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلكمْ فِيَّ منْ مكارِمِ أخلا قِ ولكمْ فيَّ من حَميدِ صِفاتِ
لستُ أرْضَى سِوَى الوَفاءِ لذي الوُ دِّ وَلَوْ كانَ في وَفائي وَفاتي
وَأَلُوفٌ فلَوْ أُفَارِقُ بؤسًا لَتَوالتْ لِفَقْدِهِ حَسَرَاتِي
طاهرُ اللّفظِ والشّمَائلِ والأخْـ لاقِ عَفُّ الضّميرِ واللّحَظَاتِ
ومع الصّمتِ والوَقارِ فإني دَمِثُ الخُلقِ طَيِّبُ الخَلَوَاتِ(٧٠)

ففي البيتين الأخيرين يتميز حديثه بالعفة والطهارة،فلسانه مهذب،لا زلل فيه ولا سب،وضميره كذلك،ووجدانه وسريرته، وربما كان"جُرْحُ اللسانِ كجُرْحِ اليد"،بل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعر الذي ردَّ به حسان على المشركين" إنَّه لأسْرعُ فيهم منْ رَشْقِ النّبل"(٧١)؛ لذا كان(اللسان من أهم جوارح الإنسان، التي تشهد على صاحبها، ذلك لأنه وسيلة مباشرة للتعبير والتعامل،وهو عنوان لصاحبه،وصورة لخلقه وسيرته)(٧٢). فخير خلق يتمسك به المرء ويحرص عليه ،هو الكلم الطيب وحفظ اللسان من الذلل،وإذا أراد غير ذلك بمحض إرادته رُتِب عليه الجزاء:

فاحفَظْ لسانك تَسترِحْ فلقد كَفَى ما قدْ جَرَى
ولقدْ نصَحْتُكَ واجْتَهَد تُ وأنتَ بَعدُ تَخيَّرَا(٧٣)

وهذا المعنى مستقي من قوله تعالى:"منْ عَمَلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ومنْ أساَءَ فَعَلَيْها وما رَبُّكَ بِظَلّامٍ للعبيد"(٧٤) وثمة فضيلة خلقية سامية أخرى يتمتع بها الشاعر،وهي فضيلة الصبر على المكاره والشدائد، وهي خلق إسلامي رفيع،لأن في الصبر الرضا بقضاء الله وقدره-كما ذكرنا-وهي سمة يتحلى به المؤمنون عند التعرض للمكاره والأذى من الآخرين(فيرفعون في مواجهتهم لواء الخلق الرفيع،ويتجاوزون حقدهم بالصبر، ويرسمون نموذجا للمثل الأعلى يحتذيه الآخرون)(٧٥)،فنجده يرضى رضا تاما بالضيم ويتحمله ممن يحب من الممدوحين، ويعذَّب في هواهم،و يموت في النهار،ويبعث،وهو بهذا الصبر والرضا والتحمل ينتظر الفرج واللطف من الله ،وهذا يعني الركون إليه عز وجل في كل شيء ،وكأننا أمام لمحات صوفية*،يقول:

أمَولاي إنّي في هواكِ معذّبٌ وَحَتّامَ أبقَى في العذاب وأَمكُثُ
فخذْ مَرّةً روحي تُرِحْني ولم أكن أموتُ مِرارا في النّهار وَأُبْعَثُ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإنّي لهذا الضّيمِ منَّك لحاملٌ ومنتظرٌ لطفًا من اللهِ يحدُثُ(٧٦)

ومن القيم والفضائل الأخلاقية السامية التي يعتز بها الشاعر فضيلة الحلم والصبر وكتمان السر،يقول في صديق خبيث يعرف دواخله،ومع ذلك يصبر ويخاف عليه،ويذكره بالخير على الدوام،ويستحلف الآخرين أن يكتموا ما سمعوا عنه:

صديقٌ سأذكُرُهُ بخيرٍ وأعرِفُ كُنْهَ باطِنِهِ الخَبيثا

وحاشا السَّامعينَ يقالُ عنهُ وباللهِ اكتُموا ذاكَ الحَديثا(٧٧)

والملاحظ أن فضيلة الكرم والسخاء كانت قيمة أخلاقية نابعة من قناعات عقلية وسلوكية ونفسية لدى البهاء،فهو يعطي بسخاءيصل إلى درجة الإسراف والإفلاس الذي يذمه القرآن،وهو لا يتعمد العصيان ،ولكن يستجيب لربه الكريم ولعواطفه ومشاعره قبل عقله يقول:

وصاحبٍ أصْبَحَ لي لائِمًا لمَّا رأى حالةَ إفلاسِي

قُلْتُ لهُ : إنَّ امْرُؤٌ لمْ أزَلْ أُفْني على الأكياسِ أكياسي (٧٨)

ويقول في منزله المضياف المُتبّع لهدى الإسلام وتعاليمه:

لي مَنزِلٌ إنْ زرتَهُ لم تلْقَ إلا كَرَمَكْ

وإنْ تَسَلْ عَمَنْ بهِ لمْ تَلْقَ إلَّا خَدَمَكْ (٧٩)

ولا يغيب عن القارىء الحصيف أناتباع الحق سمة أخلاقية إسلامية يعتز الشاعر ويفتخر بها ،لأن الحق أبيض أبلج ، يقول:

وَحَسْبِي أنّي أتَبِعُ الحقَّ في الهوى ولا شَكَّ أنَّ الحقَّ أبْيَضُ أبْلَجُ (٨٠).

ويقول:

الحَقُّ أبيضُ أبْلَجْ والحقُّ أولى ما اتُّبِعْ(٨١)

والظاهرة الجديرة بالتسجيل وضع أسس للسلوك المثالي الذي يتعين على أفراد المجتمع المعاصر انتهاجها، ومن هذه القواعد السلوكية المبنية على أسس التربية الإسلامية ،التسامحُ والصفح والعفوعن الخلق ،طمعا في حصول ذلك من الله لمن كان كذلك،فمن عفا عفا الله عنه،يقول:

فَعَلْتُمْ وقُلْتُمْ وَأسْتَطَلْتُمْ وجُرْتُمْ ولسْتُ عليكُم في الجَميعِ بواجِدِ(٨٢)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالتسامح والصفح والعفو يمثل هنا صورة واقعية وتطبيق عملي للقيم الأخلاقية الإسلامية لدى شاعرنا، ولا شك أنه كان يلتزم في تَمَثُّله لهذه الأخلاق،والقيم الفاضلة،بخلق الإسلام وتصوراته.

ويبدو أن الوفاء بالعهد ديدن في حياته،وحنينه إلى مكان ولادته بمكة خير دليل على صدق هذا الوفاءيقول:

أَحِنُّ إلى عَهْدِ المُحَصَّبِ مِنْ مِنًى وَعَيشٍ به كانتْ تُرِفَّ ظِلالُهُ(٨٣)

فإذا ما هم بالرحيل عن مصر التى فضلها على غيرها من الأوطان ،ولهج لسانه بحب طبيعتها وأرضها ونيلها وشعبها حبا كبيرا ،عاش صراعا داخليا مريرا ،يتنازعه، ويجعله مترددا،أيرحل عن مصر،أم لا؟،فهو(دائم الحنين إليها،مغتربا عنها،لا يرى بلدا من البلاد يفوقها في رهافة العيش ومظاهر الجمال(٨٤).يقول:

أأرْحَلُ مِنْ مصرٍ وَطِيبِ نَعيمِهَا؟ فأيّ مكانٍ بَعْدَها لِيَ شائقُ ؟

وإخوانَ صِدْقٍ يجمعُ الفضلُ شَمْلَهُمْ مجَالسُهُمْ ممَّا حَوَوْهُ حَدائِقُ(٨٥)

ويلح الشاعر على وفائه بالعهود والمواثيق مهما كان الفراق والبعاد،لاسيما مع معشوقته مصر وأبنائها،يقول:

أسُكَّانَ مصر إن قضى اللهُ بالنَّوى فثَمَّ عهُودٌ بيَّننا ومَوَاثِقُ(٨٦)

ويقول في معرض حديثه عن الوفاء وقدخالط بين دموعه–المالحة–التي يذرفها بسبب لوعة الحب وبين مياه النيل العذبة :

على أنَّني ذاك الوَفِيُّ الذي لهُ عُهُودُ هوى تَبقى على الحَدَثانِ

فما فاضَ ماءُ النِّيلِ إلا بمدْمَعي لقد مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ (٨٧)

ففي البيت الثاني أثر واضح بقوله تعالى:"مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيان"(٨٨).ويبين أنه ما خان عهدا أو نكث وعدا،فهو يلتزم بكل ميثاق يقطعه على نفسه ولا يتحول عنه يقول:

ما حُلْتُ عن عهدٍ ولا خُنْتُ في وُدِّي وما قَصَّرْتُ من جُهدي(٨٩)

وربما كان مناسبا ونحن بصدد حديثنا عن صفة الوفاء في شعره أن نشير إلى ما ذكره المؤرخون له من(صفة الوفاء التي تحلى بها الشاعر خلال ثباته مع الملك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصالح نجم الدين،وعدم غدره بالفرار مع أقرب الناس إلى الملك،وأخباره وحاشيته،فقد بقي يحارب مع الملك،وكان من الذين صمدوا مع ثمانين من المماليك وبعض الأمراء) (٩٠).وإذا كان الشاعر قد التزم بهذه الصفة وارتضاها لنفسه مبدأ ومنهجا وحياة،فإنه راح يثني على من تحلوا بها ،يقول:

إنّي لأعرِفُ منكُمُ يا سادتي حُسْنَ الوَفاءِ(٩١)

وهنا ينفي عن نفسه نفيا قاطعا ارتضاءه يوما بالخيانة،لإيمانه بالله،ووازعه الديني الذي يزجره عن ذلك، يقول

على أنّني لمْ أرْضَ يومًا خيانةً وهيهاتِ لي واللهِ عن ذاكَ حاجزُ(٩٢)

وليس غريبا بعد هذا أن ينكر الشاعر وهو صاحب نظرات صادقة -وليدة تجربته الشخصية- ثاقبة فى شئون الحياة، وطبائع الناس،**بعض الخصال السيئة** في المجتمع،والأنماط السلوكية الشائنة فيه، وانحرافها عن النظام الخلقي في الإسلام،مثل: الحسد والحقد ،وزلل اللسان ،وانعدام الوفاء، ومكر الناس وغدرهم، وغيرها من الخصال والأنماط الذميمة،التي تعد مظهراً من مظاهر الفساد الاجتماعي ،وصورة لضعف الوازع الديني فى نفوس الناس. فنجده مثلا يسلط الضوء على شيوع الصفة المناقضة للوفاء وهي الغدر والخيانة ، فينعي على صاحبه امتثاله الخيانة بعد عهود جرت بينهما ،مرتضيا بعقوبة الناس العاجلة له ولمزه بالخيانة ،يقول:

غدرتَ بِيَّ بعد عهودٍ جَرتْ يكْفيكَ قولُ الناس يا غادِرُ(٩٣)

ويذم صديقا له ارتضى الغدر منهجا لنفسه،رافضا غوايته بتحويله عن الوفاء بالغدر، زاجرا له ومتضجرا منه مستحضرا لفظة "أفٍّ"التي وردت في القرآن الكريم ،داعيا عليه،حيث يقول:

إليكَ عَنّي وَدَعْني الغَدْرُ لا أرتَضيهِ
أَرَدْتَ تغييرَ خُلْقي أُفٍ لِمَا سُمْتَنيهِ
فلا جَزَى اللهُ خيرًا يوْمًا عَرَفْناكَ فيه(٩٤)

ولا يقتصر البهاء على أن يبدى رأيه فى أهل عصره بعد خَبَرَ الناس وأخلاقهم والدنيا وأحوالها،وإنما اندفع ينصح بإيثار السلامة، والنجاة من شرور مخالطتهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومشاركتهم ؛لأن طبيعة الناس بُنيت على الخيانة والغدر، فقد جرَّب الصداقة معهم، فغدروا وخانوا، فهم بنوها على أساس المَصْلَحة، بينما بناها على مبدأ الصُحْبَة والمحبة في الله تعالى؛لذا ينصح بعدم اللجوء والركون إلى أحد،فأسعد الناس من لا يعرف الآخرين ويتجنب أذاهم وشرورهم :

قلَّ الثِّقاتُ فَلا تَرْكَنْ إلى أَحَدٍ   فأسْعَدُ النَّاسِ من لا يَعْرِفُ النّاسَا

لَمْ أَلْقَ لي صَاحبًا في اللهِ أَصْحَبُهُ   وقَدْ رأيتُ وقد جَرَّبْتُ أجْناسا (٩٥)

ويفضل تجنُّب الوشاة والسعاة بأباطيلهم،فقد كذَّبوا يعقوبا واتهموا يوسف بالسرقة من قبل،يقول:

وقد كان قولُ النَّاسُ في النَّاسِ قَبْلَنا   فَفُنِّدَ يَعْقُوبُ وَسُرِّقَ يُوسُفُ (٩٦)

وهذا تأثر واضح بقصة يعقوب،وقصة يوسف عليهما السلام التي وردت في قوله تعالى:"قالوا إنْ يَسْرِقْ فقدْ سَرَقَ أخٌ له من قبلُ"(٩٧).

ومع هذا يرى أن الناس للناس،ولا غنى عنهم على الرغم من جورهم وعدم دفع الظلم والضيم عنه ،و مواساتهم لشكواه ومآسيه.يقول:

لمْ يبقَ في النَّاسِ مُواسٍ لِمَنْ   يُظْهِرُ شَكواهُ ولا آسِ

وبعدَ ذا ما لكَ عنهم غِنًى   لا بدَّ للنَّاسِ منَ النَّاسِ(٩٨)

وعلينا أن نتذكر أن الوفاء قيمة خلقية عظيمة ومقوما من مقومات وجود البهاء،وهي لازمة منه لمن يحفظ الود ولو كان في وفائه وفاته يقول:

لستُ أَرْضى سِوى الوفاءِ لذي الوُ   دِّ وَلَوْ كانَ في وفائي وفاتي(٩٩)

ويقول أيضا مؤكدا وفاءه ووده لمحبوبته رغم ما أصابه من ألم وعذاب وتيه بسبب فراقها :

فليتَ عيْنَ حبيبي في البعاد ترى   حالي وما بي منْ ضُرٍّ أُقاسيهِ

هل كنْتَ من قومِ موسى في محَبَّتِه   حتى أطال عَذابي منه بالتِّيه(١٠٠)

وأيضا يقول:

أنا الوَفِيُّ لأحبابِي وإنْ غَدَروا   أنا المُقيمُ على عَهْدي وإنْ رَحَلوا

أنا المُحبُ ما الغَدْرُ منْ شِيَمي   هيهاتَ خُلُقِيَ عنهُ لَستُ أنْتَقلُ(١٠١)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذا وصف صادق والتزام صريح بمبادئ الدين الإسلامي وأخلاقه الرفيعة ومثله العليا .والحقيقة أن الفن الأدبي له رسالة يسمو بها،ويطهر من خلالها النفوس من الأدران،وما ران عليها من الأمراض الأخلاقية، فالأخلاق مجال فسيح للأدب،يجول فيه مفتشا عن الفضائل،باعثا لها ،وباحثا عن الرذائل،معالجا لها،فالأدب ذو صلة قوية،ورابطة وثيقة بالأخلاق(١٠٢)-كما ذكرنا آنفا-.

وإلى جانب الوقار،والاتزان،ودماثة الخلق،والصمت،والصبر،والصفح والعفو،والوفاء بالعهود والمواثيق ، نلحظ ارتباطا قويا آخرا بين خُلق الشاعر والخلق القرآني، متمثلا في **نفسه العزيزة الأبية** ،التي تترفع عن سفاسف الأمور،وترنو إلى السؤدد والمعالي،ولا ترتضي السقطات والدنايا،وأجمل ما تمتلكه السيف والمصحف ،يقول:

ونَفْسي بِحَمْدِ اللهِ نفسٌ أبِيَّةٌ فَهَا هِيَ لا تَهْفُو ولا تَتَلَهَّفُ

وأَشْرَفُ ما تَبْنيهِ مَجدٌ وسُؤْدَدٌ وأَزْيَنُ ما تَقْنيهِ سَيفٌ ومصْحَفُ(١٠٣)

وهذا المعنى مستقي من قوله عز وجل:"يأيُّها الذين آمنوا مَن يَرْتَدَّ منكُمْ عن دِينِهِ فسوفَ يأتي اللهُ بقومٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونَهُ ،أَذِلَّةٍ على المؤمنينَ أَعِزَّةٍ على الكافرينَ"(١٠٤) .ويقول في موضع آخر مبينا عزة وإباء نفسه ،وترفعه عما يرتضيه الآخرون من ذل ومهانة جريا وراء شهواتهم وملذاتهم:

على أنَّ لي نَفْسًا عليَّ عَزيزةً وفي النَّاسِ عُشَّاقٌ بغَيرِ نُفُوسِ(١٠٥)

فهنا تجسيد لعزة النفس والأنفة،من قِبل شاعر تحلى بخلق المسلم الذي يضبط نفسه ويصونها من المهانة والذلة،ويدقق في التحرر من الحرام خوفا من أن يقع في الشبهات.ولعلنا نلحظ تشابكه مع القيم المتصارعة في المجتمع،وانتصاره الدائم للخير والفضيلة والأخلاق وكل ما يرقى بالإنسان ويعزز إنسانيته ويحفظ كرامته؛لأن الإسلام نهى عن الخنوع والاستخذاء من أجل العرض الزائل،ذاك أن(عزة النفس والترفع عن مواطن التذلل،و صيانة ماء الوجه،يمنحان المسلم مقومات الكرامة،وحرية الرأي،والثبات أمام الأهواء والنزوات،وهي قيم يسعى لتحقيقها،وكثيرا ما ينزلق عنها ذوو النفوس الضعيفة)(١٠٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وما يلفت النظر أن الشاعر التزم بالقيم الدينية،والمباديء الأخلاقية السامية وذلك طبيعي فهو فنان صادق يرتسم فوق جبينه نور الصدق والصراحة،يسعى إلى الحياة وتوجيهها إلى الأفضل؛ويعتمد فى مضامينه الخلقية على التجربة العمليةلا على المعلومات الدينية،فهو يحذر من مبدأ التناقض بين القول والفعل؛لأن المسلم الحقيقي لا يخالف قوله فعله،وسره علانيته،وهو يعمل بما تعلم،فثمرة العلم العمل به،لذا نراه يطابق قوله فعله،وحياؤه كفيل بإحداث هذا الخلق الرفيع،ويجعله مبتسما ألوفا وفيا لا يخلف موعدا، يقول:

إذا قُلْتُ قولاً كُنْتُ للقولِ فاعلاً وكانَ حَيائي كافلي وَضَمِيني

تُبَشِّرُ عَنِّي بالوَفاءِ بَشاشتي ويَنْطِقُ نورُ الصِّدْقِ فوْقَ جَبيني (١٠٧)

ويبدو من السياق العام لشعره أنه اشتهر بخصوصية في الحب والغرام،وجعل لنفسه مذهبا جديدا في العشق له أتباع ومريدون ،ولا يحيد فيه عن مكارم الأخلاق الإسلامية من الألفة،والوِدّ، وحسن العشرة،ودماثة الخلق،والعفو والصفح، والعفاف، والوفاء،وعدم الخيانة ،وغيرها من أخلاق فاضلة ناشئة عن الخشوع وعلو الهمة.يقول:

أنا في الحبِّ أَلْطَفُ النَّاسِ مَعْنىً دَمِثُ الخُلُقِ،ذو حَواشٍ رِقَاقِ

أَعْشَقُ الحُسْنَ والمَلاحةَ والظَّرْ فِ، وأَهْوَى مَحَاسِنَ الأَخْلاقِ

لمْ أَخُنْ في الوِدادِ قطُّ حبيبًا فيُنادي عَلَيَّ في الأسواق (١٠٨)

ويعود إلى نغمة الوفاء،مؤكدا تعلقه وتشبثه بمحبوبته،وصدوده عن حب سواها، فيقول :

كأنّي موسى حينَ أَلْقَتْهُ أمُّهُ وقد حَرِمَتْ قِدمًا عليه المراضِعُ (١٠٩)

وقصة موسى عليه السلام وردت في سورة "طه"*الآيتان:٣٨-٣٩.وليس غريبا بعد هذا أن يكون ثمة علاقة بين الحب والأخلاق،على نحو من الإيمان بالعفاف عند المقدرة،وأنه سِمة خُلُقية ملازمة للفتوة، تلك الفتوة النابعة أيضا من النظرة الدينية(١١٠).ويقول أيضا مبينا مذهبه في الغرام ،مستحضر لفظة"البَيِّنَاتِ":

مَذْهَبي في الغَرَامِ مذْهَبُ حَقٍّ ولقد قُمْتُ فيه بالبَيِّنَاتِ(١١١)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد ورد ذكر "البَيِّنَاتِ" في سورة الحديد في قوله تعالى:"هوَ الَّذي يُنَزِّلُ على عبدِه آياتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخرِجَكُمْ مِن الظلماتِ إلى النُّورِ"(١١٢)

ولم يغفل في معرض حديثه عن علاقته بمحبوبته أن ينفي ما نُسِبَ إليه من تقصير بحقها،ويرى أنها افتراءات باطلة من قبل الوشاة والسعاة ،ولا تتعدى الظنون،وما ينجم عنها من آثام وخطايا ،وهي رؤية تؤكد إيمانه الراسخ بالقيم الدينية والأخلاقية السامية التى نادى بها الإسلام،،يقول:

لا وحقِّ اللهِ ما ظَنَنْـ　　ـكَ في حَقِّي حَلالا
إنَّ بَعَضَ الظَّنِّ إثْمٌ　　صدق الله تعالى(١١٣)

فالشاعر هنا إنما يتكىء على قوله تعالى:"يَاأيها الذينَ أمَنُوا اجتنبوا كثيرا مِنَ الظَّنِ إنَّ بَعَضَ الظَّنِّ إثْمٌ"(١١٤).ويقول في معرض ردِّه على عذَّاله الذين يلومونه في حبه،مقررا أن أمره محسوم،ولا مجال للمساومة فيه:

تَعِبَ العُذَّالُ بي في حبِّها　　قُضِيَّ الأمرُ وجَفَّ القَلَمُ (١١٥)

وهذا تأثر واضح بقوله تعالى:"قُضِيَ الأَمْرُ الذي فيهِ تَسْتَفْتيانِ"(١١٦)،وقوله تعالى: "وكانَ أمرُ اللهِ قَدَرًا مقْدُورًا"(١١٧).

ويتمتع بفضيلة خلقية سامية وهى فضيلة الصدق والصراحة،فهو يكره النفاق ويذمه كثيرا،ويقسو على الذين يلبسون قناع الرياء ليستروا وجوههم القبيحة ،يقول في" توبة وإفلاس"

قالوا: فلانٌ قد غدا تائبا　　واليوم قد صلَّى مع الناسِ
قلتُ : متى ذاك وأنَّى له　　وكيف يَنْسَى لذَّة الكأسِ
أمْس بهذه العين أبْصَرتُه　　سَكْرانَ بيْنَ الوردِ والآسِ
ورُحْتُ عن توْبتِه سائلا　　وَجَدْتُها توْبة إفْلاسِ(١١٨)

ولا شيء في النهاية سوى الزهد*والقناعة والكفاف،ففيها الغنى، وهي تورث النفس عزة ورفعة. ومعلوم أن القناعة عماد مفهوم الزهد،ومفتاح سعادة المرء في دينه ودنياه وما سوى ذلك جالب للشقاء،فـ"طُوبى لِمَنْ هُدِيَ للإسلامِ،وكان عَيْشُهُ كَفافا وَقَنِعَ"(١١٩)كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لذاحرص البهاء على الدعوة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لهما-وهي دعوة إصلاحية-؛ لتطهير النفس البشرية مما علق بها من آثام وخطايا،وتبصيرها بحقيقة الوجود، فالحياة الدُّنيا زائلة والحياة الآخرة الباقية.أماالحياة الدُّنيا فهي "جيفة" آسِنة فانية ،وتعلُّق الجوارح بها يعني انخراطها في مستنقعٍ آسِنٍ،ملئ بالمفاسد والشرور،ومن ثم فعلى النفس أن تُقْنَع بالقليل، ومن يبتغ غير القناعة سبيلا فإنه فاقد لعقله،يقول:

أيُها النَّفسُ الشَّريفَةْ إنَّما دُنْيَاك جِيفَةْ
لا أرى جَرحَةُ ، قد مُلِئَتْ منها نَظيفَةْ
فاقْنَعي بالبُلْغَةِ النّز رَةِ منها والطّفيفَه
وعُقولُ النَّاسِ في رَغْ بَتِهِم فيها سخيفة(١٢٠)

وتقوم حركة الزهد على مفاهيم أساسية منها،ذكر الموت،والتقليل من شأن الدنيا،وقصر الحياة،قال رسول صلى الله عليه وسلم:"أَكْثِروا مِنْ ذِكْرِ هادِمِ اللذاتِ"(١٢١)،و"...ما أنا في الدنيا إلا كَراكِبٍ استَظلَّ تحت شجرةٍ ثم راح وتركها"(١٢٢).فنعيم الدنيا لا يقارن بعظم نعيم الآخرة لمن أحسن العمل وانصرف للطاعات .ومن أجل ذلك يبين الشاعر الحقيقة الأزلية التي لا مفر منها،وهي حقيقة الموت قاهر كل شيء،وهادم اللذات، وينصح هذا المسكين بأن يُصلِحُ نفسه ويعُدَّها للآخرة،ويوطنها على القناعة بالقليل،والتزود ليوم الرحيل :

أيُها المسكِينُ هَبْ إنَّـ كَ في الدُّنيا خَليفَةْ
هلْ يَرُدّ المَوتُ سُلطا نَكَ والدُّنيا الكَثيفه
تَتْرُكُ الكُلَّ ولا تَمْـ لُكَ بعدَ الموتِ صُوفَةْ
كيف لا تهتَمَّ بالغدِ ةِ والطُّرقُ مُخيفَةْ
حَصِّلِ الزَّادَ وإلا ليسَ بعدَ اليومَ كوفَه(١٢٣)

وهذه **النصائح والمواعظ** الموجهة إلى السائر في غيه وضلاله مسألة استوقفت النظر في ديوان شاعرنا، وهي وإن كانت مستقاة من القيم الإسلامية،فإنها تنبع عن دوافع ذاتية خالصة،وتعبر عن رؤية وتجربة عميقة، كأنها ثمرة من ثمار خبرته الطويلة في التعامل مع الحياة والناس،ولا تصدر إلا من أناس عرفوا بالحكمة ،و

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أصالة الرأي ،ولا تُوَجه إلا إلى من يُراد توجههم إلى صالح الأعمال. يقول ناصحا وداعيا لمن ظلم نفسه ،وأسرف بتعلقه بمتاع الدنيا الزائل ،وغفل بحقيقة الوجود، واغتر فرحا بترفه وملذات الحياة:

أيُّها الظَّالِمُ ما ترَ   فِقْ بالنَّفسِ الضَّعيفَهْ
أيُّها المُسرِفُ أكْثَرْ   تَ أباريزَ الوظيفه
أيُّها الغَافِلُ ما تُبْ   صِرُ عُنْوانَ الصَّحيفه
أيُّها المَغْرورُ لا تفْ   رَحْ بتوسيعِ القَطيفه(١٢٤)

وهذا تأثر واضح بأسلوب القرآن الكريم من خلال النداء المتكرر"يأيها.."لمن انحرف عن طريق الحق والهداية.ولعل خبرة الشاعر الطويلة فى الحياة،مكنته من أن يستخلص من أحداثها دروساً مستفادة،وعبراً معيشة ،ويبسطها فى معرض ديني، ويتناولها من وجهة نظر الزاهد والمتعبد،فقد أكثر من الدعوة إلى الفضائل الرفيعة،و المثل الخلقية العليا،وحض على تجنب الرذائل،وذميم الفعال،هادفاً إلى تهذيب النفوس وإصلاحها ، وتنظيم العلاقات الاجتماعية بين الناس وكان في كل هذا موفقا. ولا ريب أن الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، والآداب الإسلامية تمثل جوهر رسالة الزاهد الذي لا يُرائي في زهده لخوفه من الحق تبارك وتعالى، فالله لا تخفى عليه خافية.

غير أن ذلك لا يعني أن البهاء زهير بأي حال من الأحوال ظل ملتزما محافظا طيلة حياته،بل كان يميل في أيَّام الشَّباب إلى اللهو -كما ذكرنا آنفا- في أماكن النزهة والبساتين،ويشاطر أمثاله من الشعراء والأدباء مجالس الأنس والغناء ، يشرب الخمر ،وينادم عليها،وهو في ذلك"يباري جماعة الخلعاء من شعراء العصر العباسي في القرن الثاني أمثال أبي نواس والحسين بن الضحاك في ضروب الشعر الذي يرتجلونه بين يدي حاجاتهم وفي مجالس لهوهم وشرابهم"(١٢٥).وكان بزوغ الشيب نذيرا لقرب الأجل والموت، فتوجه إلى الله ونظم أبياتا في**المناجاة الإلهية**،تفيض بالندم والحسرة،وتعترف بالذنب،وتأمل في الرحمة والغفران أمام المولى تبارك وتعالى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .ونظم"بضع قصائد في المشيب ،يتحسر فيها على شبابه الراحل،وتتراءى أطياف الماضي بما فيه من جمال الحسان ،وكأس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المدام، فيهتز لها ويهيم بها، يدفعه إلى ذلك كله قلب لا تزال فيه بقية من شمائل من المرح الطروب،ولكنه يكتم صبابته، وينيب إلى ربه،ويلتمس منه العفو والغفران" (١٢٦).

ولعل من أبرز الفضائل الدينية والأخلاقية التي يتمتع بها الشاعر فضيلتي **الاستغفار *والتوبة****،وهما من أجل الفضائل ،وإنما كان الاستغفار فضيلة لما فيه من الاعتراف بضعف النفس أمام المعاصي في مقابل الاعتراف والاعتقاد بعفو الله وكرمه.وأما التوبة فهي فضيلة أيضا؛لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ،و الاعتراف بالذنب فضيلة في حد ذاته.كما أنهما يمثلان الخطوة الأولى ،والخطوة الأخيرة في طريق الزهد؛لأن الإنسان المسلم ينبغي أن يعترف دائما بضعفه وكثرة ذنوبه،مع مداومة التوبة والاستغفار.

ولما كان الاستغفار طريقا للتوبة ومحو الذنوب، واعترافا من العبد لمولاه بجرمه، رجاء رحمته ،كان جوابه دائما الغفران والرحمة منه عز وجل"واستغفروا اللهَ إنَّ الله كان غفورا رحيما" (١٢٧)،"واستغفروا ربَّكُمْ ثمَّ تُوبوا إليه إنَّ ربِّي رحيمٌ وَدُودٌ"(١٢٨) ؛لذا فإن المتتبع لديوانه يلحظ مدى الإيمان المستقر في قلبه ومعرفته لله حق المعرفة،والرجوع إليه كلما ألم به كرب أو ضاقت به السبل فيجد من خالقه معينا ونصيرا ، فينجذب قلبه وروحه إلى الله تعالى محبة وتعظيما وخوفا وإنابة ،ويبادر بالندم وتأنيب ضميره ومحاسبة نفسه بما فرط في حق الله تائبا مستغفرا ربه، مستجيبا لداعي التّقى،راجيا عفوه ،طامعا في مرضاته ورحمته مع أن داعي الهوى لا زال يدعوه فيجيبه،إلا أن التّقى يثنيه ويبدد إرادة الشر من نفسه باستشعار عظمة الله والخوف من عقابه والطمع في مرضاته وثوابه وكأنه يجد في الاستغفار والابتهال إليه قوة دافعة تميط له الحجب،وتدفع به إلى الصراط السوي، يقول :

وإنِّي ليدعوني الهوى فأُجيبُهُ وأنِّي ليَثْنِيني التُّقى فأُنيبُ
رجوتُ كَريمًا قد وَثِقتُ بصُنْعِهِ وما كان مَنْ يرجو الكريمَ يخيبُ
فيا مَنْ يُحبُّ العَفْوَ إنِّي مُذْنبٌ ولا عَفْوَ إلا أنْ تكونَ ذُنوبُ(١٢٩)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولا شك أن إقرار العبد بذنوبه بين يدي الله،وطلب العفو والمغفرة منه،وإعلان التوبة يُعد بُعْدًا إيمانيا وإسلاميا (فمفهوم التوبة في الإسلام خلق إسلامي يقترن بصفات المتقين)(١٣٠).والاستجابة لداعي التُّقى كانت قوية لدى شاعرنا ،فقد شحنت التقوى إرادة الخير ،وبددت إرادة الشر من نفسه.ولعل التقوى والخشوع إلى الله هي القيمة الحقيقية للأخلاق،وهي الزاد الذي يمدها والسلوك بالوحدة والانسجام قال تعالى:"وتزَوَّدوا فإنَّ خَيْرَ الزادِ التقوى،واتَّقُونِ ياأُولِي الألْبَابِ"(١٣١).كما أنها المدد الذي يواجه به المسلم الصعاب في رحلته الطويلة إلى الحياة الآخرة. ومن نتائجها"أنها تنشيء في القلب والعقل حالة من الانضباط، لا تتأرجح معها الصور، و لا تهتز معها القيم ولا يتميع فيها التصور ولا السلوك"(١٣٢).

وإذا كان الإقرار بالذنوب والسيئات،والتحسر عليها"صورة من صورة التوبة،بل هو شرط من شروطها (١٣٣)، فإن التمادي في الغي والضلال،لا طائل منه ،لذا راح يدعو الله تضرعا وخوفا ،نادما على ما آل إليه حاله ،بعد أن ضَيَّع شبابه في اللهو والنعيم الزائل،مستجيرا بعفو الله وكرمه ورحمته ،يقول:

تأبَى وإلي متَى التَّمادي	قدْ آنَ بأن يُفيقَ غافلْ
ما أَعْظَمَ حَسْرَتِي لِعُمْرٍ قدْ	ضَاعَ ولمْ أَفُزْ بطائِلْ
قدْ عَزَّ عَليَّ سُوءُ حالي	ما يفعلُ ما فَعَلْتُ عاقلْ
ما أَعْلَمُ ما يكونُ منِّي	والأمرُ كما عَلمْتَ هائِلْ
يا ربِّ وأنتَ بي رحيمٌ	قد جِئْتُكَ راجِيًا وآملْ
حشاكَ أنْ ترُدَّ ضعيفا	قدْ أَصْبحَ في ذَراكَ نازلْ
يا أكرَمَ منْ رَجاهُ راجٍ	عنْ بابكَ لا يُرَد سائلْ (١٣٤)

فهذه المعاني وليدة النفس المضطربة، فالإقرار بالذنب هو استجابة لداعية الألم من وقع هذا الذنب على نفسه، وإشعار بأن ضميره قد تيقظ بقوله:"ما يفعلُ ما فَعَلْتُ عاقلْ"،وحينما آب إلى الله أدرك مدى قصوره عن إيجاد علاقة متوازنة بين الجانبين المادي والروحي في كينونته،فراح يُوازن بين متطلباتهما،فازداد إيمانا وتعلق بربه خوفا منه،وطمعا في عفوه ومغفرته تعالى.وربما اتكأ في هذا إلى قوله تعالى:"والذينَ إذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فعلوا فاحشَةً أو ظلَمُوا أنفُسَهُمْ ذكروا الله فاستَغْفروا لذنوبِهِمْ ومنْ يَغفِرُ الذُنوبَ إلا الله ولمْ يُصِرُّوا على ما فَعَلُوا وهم يعلمونَ،أُوْلَئكَ جَزاؤُهُم مَغْفِرَةٌ منْ رَبِّهِمْ وجنَّاتٌ تجري من تَحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها ونِعْمَ أجْرُ العاملينَ"(١٣٥).

ومن هنا(فإن الإسلام يعرض الصور الإنسانية من جميع جوانبها المادية والمعنوية ،ويصورها،بكل قيمها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية،ممتزجة متداخلة ، مؤثرا بعضها في بعض،مع الاتكاء على الجانب الروحي،ومحاولة إبرازه والإشادة به،لأنه هو العنصر الذي من أجله صار الإنسان إنسانا)(١٣٦) .

والحقيقة التي يجب أن نتذكرها في هذا المقام هي أنه يعترف أن ما يكتمه في وجدانه من صبابة ولهو،لا يعلم به أحد سوى الله،ولذلك يتوجه إليه راجيا العفو عن عبده التائب العائد إلى طريق الرشد، يقول:

ولكَمْ كَتَمْتُ صَبابَتِي واللهُ علاَّمُ الغيوبِ
ورَجَوْتُ حُسْنَ العَفْوَ منـ ـهُ فهو للعبْدِ المُنِيبِ(١٣٧)

ويقف صاغرا بباب الكريم ،معترفا في ذلة بجرمه، نادما تائبا طالبا العفو والمغفرة من ربه عساه يقبله و يأذن له،بعد أن عكر الشيب صفو حياته،وكان سببا في إفاقته،وتركه دروب المعاصي من شرب الخمر، وصحبة الندامى يقول:

ولقد صَحَوْتُ وتُبْتُ عن خمرِ الهوى وكسَرْتُ دَنِّي
ونَفَضْتُ في وجْه النَّديـ ـمِ وقد أتى بالكأسِ رُدْنِي
ووقفْتُ في بابِ الكَريـ ـمِ عَسَاهُ يَسْمَحُ لي بإذْنِ(١٣٨)

وخوفه من الله جعله يفر منه ويستجير بعفوه سبحانه وتعالى،فنراه يقول:

رَجَوْتُ كَريما قد وثِقْتُ بصنْعهِ وما كان من يرجو الكريم يخيب
فيا من يُحبُّ العفوَ إني مُذْنبٌ ولا عفو إلا أن تكون ذنوب(١٣٩)

ويبدو أن الشاعر في توجهه إلى الله تعالى بالتوبة والمغفرة ،والتصريح المباشر بأفعاله ،إنما يتجه اتجاها واقعيا في التعبير عن حالته،وأزمته الداخلية،واستشعاره بالذنب،وإن هذه الرؤية أصدق تجليات الصدق الفني في التعبير عن التجربة الحياتية المعاشة"فالصدق الفني هو نقل الواقع بكل أنباضه المختلفة"(١٤٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي ظل هذا التوجه يقرّ بأنه آب إلى الله ،وكفَّ عن مسالك الجهل،وصار درب السكينة والخشوع، زاجرا نديمه الذي يريد غوايته ورجوعه إلى كؤوس الـ... ،يقول:

ثُمَّ ارْعَوَيْتُ وصِرْتُ في   حَدِّ السَكِينَةِ والخُشوعِ
فإليكَ عنِّى يا نَديـ   ـمُ فما صَنيِيعُكَ من صَنيعي
أَتُرِيدُ بعد الشَّيبِ مـ   ـنّي صَبوةَ الناشِيِ الخَليعِ(١٤١)

ويستمر في توجيه الزجر واللوم إلى نديمه،مؤكدا أنه لن يسمع أو يطيع دعوته بعد العار الرجوع إلى الخمر، لاسيما أنه أصبح في حمى الله،وحرزه المنيع، إذ يقول:

لا لا وَحَقِّ اللهِ ما   أنَا بالسَّميعِ ولا المُطيعِ
إنْ كُنْتَ ترجع أنتَ بعـ   ـد الشَّيبِ فيأسٌ من رُجوعي
كيفَ الرُجوعُ وقد رأيـ   ـتُ الرِّيحَ تَلْعبُ بالزُّروعِ
عارٌ رُجُوعُكَ بعد ما   عايَنْتَ حِيطانَ الرَّبُوعِ
وحَلَلْتَ في ظِلِّ الجَنَا   بِ الرَّحبِ والحِرْزِ المَنيعِ(١٤٢)

وهنا يقرر أن صاحبه لم يلتزم بالتوبة الصادقة ،وإن سجد وركع، وعلى الإنسان أن يحسب كل شيء قبل الإقبال على التوبة، والشروع فيها، يقول:

وَاعْلَمْ أُخَيَّ بأنَّه   لا بالسُّجودِ ولا الرُّكوعِ
احسِبْ حِسابك في الذي   تَنْوِيهِ مِنْ قَبْلِ الشُرُوعِ (١٤٣)

واضح حرص الشاعر على العناية بتحقيق التوجه إلى الله بمصداقية،وهي رؤية مستوحاة من تعاليم الإسلام ،وفيها إدانة للسلوك المنفصم،كما تبين نزعته وحسه للأدب الاسلامي الذي"يعبر عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية الحية الدافقة، ويدعوإلى إيقاظ نوازع الخير،والطهر،والجمال،التي جاء بها الإسلام"(١٤٤)، و"الفن الذي يمكن أن ينبثق عن التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان هو أرفع فن تستطيع أن تنتجه البشرية"(١٤٥).

ومن هذا نستطيع أن نؤكد أن الشاعر استمد قيمه الدينية والأخلاقية الفاضلة وسلوكياته الإسلامية من الكتاب والسنة،وكان القرآن المصدر الأول والأساسي في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تشكيل كيانه وأخلاقياته وضميره ،وقد أمده وسلحه بحشد من القيم الدينية والمُثُل الأخلاقية والسلوك الإسلامية،التي التزم بها التزاما صادقا لتكون نبراسا يهتدي به في ظلمات الحياة، فكان دَمث الخلق،عفا،وقورا،طاهر اللسان،يتخذ من الصبر على أذي الآخرين طريقا لتفريج الكُرَب والشدائد ،ومن منهج الحق واتباع سبله زادا وعونا له في معترك الحياة ،كما كان صادقا، مخلصا،ودودا متسامحا،عزيز النفس،وفيا،محبا ومبتسما للحياة،يحافظ على الود والعشرة ويألف ويُؤلف،ويختار الأصدقاء على أسس المحبة في الله،يتغافل عن زلاتهم،ويدعو إلى الزهد والقناعة بالقليل،والتزود ليوم الرحيل، بعد أيقن أنها رحلة قصيرة لا تلبث أن تنتهي، فلكل إنسان أجل محدود ويوم معلوم ،وعليه أن يحسن الاستعداد للموت ،وهو في هذا يسلم قيادته إلى الله إيمانا بالواقع،والفرار من الله إلى الله،لصرف البلاء،والوقاية من سوء ما يجري به القضاء، وما من طريق سوى الندم والحسرة والإياب والتوبة إلى الله،والاستغاثة من عذابه جل شأنه بعفوه ومغفرته حيث لات ساعة ندم .وهذا كله ينم عن خلق إسلامي رفيع ونحو ذلك من ،ولأنه فنان صادق صريح،يسعى إلى الحياة وتوجيهها إلى الأفضل؛ويعتمد فى مضامينه الخلقية على الصورة الواقعية والتطبيق العملي لها،لا على المعلومات الدينية، فقد تمثل لتلك القيم والفضائل الأخلاقية، ووظفها توظيفا بارعا في أسلوبه،وصياغاته، ومفرداته اللغوية،و استحال إلى سلوك يومي ترسخ في فكره ووجدانه،ومعاملاته على صعيد الحياة المجتمعية المعاصرةومن هنا كان شعره ترجمة لخلقة السامي النابع من القرآن الكريم واتباع هدي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة

وبعد، فإن دراسة متأنية لكل ما ورد من ومضات إيمانية وسبحات روحية في ديوان الشاعر ،والولوج في فكره ،ووجدانه ،وصياغتهتُبيّن أنها كانت مستمدة من معين عقلى وروحي لا ينضب،ومتمثلة لمنظومة القيم الدينية بكل أبعادها من حيث اعتقاده بوحدانية الله تعالى وأنه خالق كل شيء،علّام الغيوب، وسرائرالقلوب والنيات،الرزاق ،السّميع، المُجيب،الرحيم،الحكم،العدل،والإيمان بقضاء الله وقدره ،مع ضرورة التحلي بالصبر،و الدعاءلله سبحانه وحده،وسؤاله جميع الحاجات،والتوكل عليه،وتفويض الأمر إليه ،والتحرر من التعلق بغيره والاستغناء به عن الخلق.كما تُبيّن أن شعره كان ترجمة لخلقة السامي النابع من القرآن الكريم ، واتباع هدي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، فقد التزم بالقيم الدينية والمُثُل الأخلاقية والسلوك الإسلامية، التزاما صادقا لتكون نبراسا يهتدي به في ظلمات الحياة، فكان دَمث الخلق،عفا،وقورا،طاهراللسان ،يتخذ من الصبر على أذي الآخرين طريقا لتفريج الكُرَب والشدائد،ومن منهج الحق واتباع سبله زادا وعونا له في معترك الحياة ،كما كان صادقا،عزيز النفس،مخلصا،متسامحا،ودودا،وفيا، محبا،مبتسما للحياة،يحرص على الكلم الطيب،و حفظ اللسان من الزلل،يحافظ على الود والعشرة ويألف ويُؤلف، ويختار الأصدقاء على أسس المحبة في الله، يتغافل عن زلاتهم،ويدعو إلى الزهد والقناعة بالقليل،والتزود ليوم الرحيل ونحو ذلك من الأخلاق الفاضلة الناشئة عن الخشوع وعلو الهمة .

كما بينت أنه قدم نموذجا صادقا في المناجاة الإلهية ،بعد ندمه وتحسره على ماعلق في النفس من آثام و معاصي، وهوفي هذا يُسلم قيادته إلى الله إيمانا بالواقع والفرار من الله إلى الله،لصرف البلاء،والوقاية من سوء ما يجري به القضاء،والأمل في الرحمة والغفران أمام ملك الملوك وأكرم الأكرمين الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ،وهو سلوك قويم ينم عن خلق إسلامي رفيع. كما وُفِق في وصف طبائع الناس وأخلاقهم،وكشف عن النقائص الخلقية والآفات الاجتماعية السيئة المنحرفة عن المفهوم الإسلامي في واقعه المعاصر محاولا معالجة ظواهرها،لأن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عقيدته اعطته مفهوما خالصا لهذه القيم والفضائل أهمها إخلاص النية فيها لله تعالى،واتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم في أخلاقه وسلوكه،ولأن هذا الاتباع يمثل الصورة الواقعية والتطبيق العملي للقيم والمعاني الأخلاقية الإسلامية.....وأخيرا لا ننسى أن تَمَثُّله لتلك القيم والفضائل الأخلاقية،وتوظفها توظيفا بارعا في أسلوبه،وصياغاته، ومفرداته اللغوية ينم عن غزارة فكر،ورقة مشاعر،وصدق عاطفة،وصفاء نفس،و نقاء سريرة ، وقلب خاشع يُصفي عصارته في قالب شعري روحي لغة وصياغة ،وفكرا وتوجيها ونصحا..

وعلى الجملة ،فقد كان البهاء من الشعراء الملتزمين بالإسلام سلوكا وتطبيقا ،وكانت تحكمه نزعة دينية متمثلة في إيمانه بوحدانيته عز وجل،والنظر في أسمائه الحسنى،وصفاته العلى وتدبر معانيها ، مما وضع في نفسه وحسه أجمل وأكمل الصفات والمعاني الدينيةوالخلقية السامية التى نادى بها الإسلام،وتردد ذلك في شعره بمعان إسلامية رائعة،ودعا الناس دعوة صريحة إلى التمسك والالتزام بها،متمنيا أن تسود في الناس كافة،وجعلها منهج حياة ،وسبيلا للعمل في بناء العلاقات مع النفس والآخرين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهوامش

(١)وفيات الأعيان، شمس الدين أبو الحسن،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة(د.ط)،بيروت،١٩٩٦،ج٢، ٢٣٨.

(٢)بهاء الدين زهير،الديوان:دار صادر،دار بيروت للطباعة والنشر(د.ط)،بيروت١٣٨٣هـ،١٩٦٤م،ص٣٥.

(٣)التصوير الفني في القرآن الكريم،سيد قطب،دار الشروق(د.ط)،القاهرة،١٤١٣هـ-١٩٩٣م،ص١٤٤. (٤)الإسلام والمذاهب الأدبية،نجيب كيلاني، مؤسسة الرسالة،بيروت،١٤٠٥هـ ١٩٨٥م،ص١٣وما بعدها. (٥)انظر الحياة والشاعر،ستيفن سبندر،ت:محمد مصطفى بدوي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،٢٠٠١م،ص١وما بعدها.

(٦)منهج الفن الإسلامي،محمد قطب،دار الشروق١٤٠٣هـ١٩٨٣م،ط٥،ص

(٧)مفهوم الأخلاق في الشعر العربي في العصر العباسي الأول،محمد شحد تيم،رسالة دكتوراة،جامعة أم القرى مكة المكرمة،١٤١٥هـ-١٩٩٤م،ص٢٨

(٨)مفهوم الأخلاق في الشعر العربي،ص١٤١-١٤٢.

(٩)سورة الأنفال:آية ٢.

(١٠)شرح السنة،الإمام البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء،طبعة المكتب الإسلامي،ج١٣/٧٨،حديث رقم٣٤٩٥.

(١١)سورة القلم:آية٤.

(١٢)فتح الباري بشرح صحيح البخاري،ابن حجر العسقلاني،تحقيق،محمد فؤاد عبد الباقي،محب الدين الخطيب،كتاب أحاديث الأنبياء،المكتبة السلفية،(د.ط) حديث رقم٣٣٧٤،ج٦/١٤٤.

(١٣)مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب،عبد الرحمن بن محمد الأنصاري المعروف بابن الدباغ، تحقيق، هـ.ريتر،دار صادر(د.ط) بيروت١٣٧٩هـ،ص٤١.

(١٤)انظر في الحديث عن حياة البهاء وشعره في البداية والنهاية،ابن كثير،أبو الفداء الدمشقي،توثيق،علي محمد معوض،دار الكتب العلمية،ط٢،بيروت٢٠٠٣م،ج١٣/٧٨-٧٩،ووفيات الأعيان، ج٢/٣٣٢-٢٣٨ ،وشذرات الذهب في أخبار من ذهب،ابن العماد،أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي،دار الآفاق الجديدة(د.ط)، بيروت(د.ت)،ج٥/٢٧٧-٢٧٨،النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة،ابن تغري بردي،ط دار الكتب المصرية، مصر١٩٥٦م،ج٧/٦٣،٦٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١٥) البهاء زهير- مصطفى عبد الرازق،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة(د.ط)القاهرة ٢٠١٢م،ص١٠.
(١٦) الأدب في العصر الأيوبي:محمد زغلول سلام،دار المعارف (د.ط)، ١٩٨٠م:ص٣٦٢.
(١٧)وفيات الأعيان،ج٣٣٢/٢
(١٨) البهاء زهير-مصطفى عبد الرازق،ص٧.
(١٩) الأدب في العصر الأيوبي: ص٣٦٣.
(٢٠)الأدب الإسلامي الفكرة والتطبيق:حلمي محمد القاعود،دار النشر الدولي، السعودية،الرياض،ط١، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م ، ص١٧٢.
(٢١) ديوان البهاء الدين زهير، صـ١٤٦.
(٢٢)المصدر السابق:ص٢٦.
(٢٣)المصدر السابق:ص١٥٠.
(٢٤)المصدر السابق:ص٧٦
(٢٥) انظر المصدر السابق:ص ٣٣.
(٢٦)الأدب الإسلامي قضية وبناء: سعد أبو الرضا،عالم المعرفة،ط١، ١٩٨٣م،ص ـ٨.
(٢٧)ديوان بهاء الدين زهير:ص ٦٧.
(٢٨)معالم الأدب الإسلامي،المصطلح،الخصائص،القضايا،الفنون:عمر عبد الرحمن الساريسي،مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ،ط٢٠٠٣،١م،ص٢١.
(٢٩)ديوان بهاءالدين زهير:ص ٧٠.
(٣٠)سورة ق:الآيتان٣٩-٤٠.
(٣١)سورة المؤمنون:الآيات ١-٣.
(٣٢)سورة الأعلى:آية١٤.وانظر سورة الشمس :آية ٩.
(٣٣) سورة الشرح:الآيتان ٥-٦..
(٣٤)ديوان بهاءالدين زهير: ص ٨٣.
(٣٥)سورة الشعراء:الآيات١٦٠-١٦٣.
(٣٦)ديوان بهاءالدين زهير: ص٢٣١.
(٣٧)سورة الذّاريات:آية٥٨.
(٣٨)سورة الملك:آية١٥.
(٣٩)الأدب الإسلامي قضية وبناء:سعد أبو الرضا،ص٢٣.
(٤٠)ديوان بهاءالدين زهير:ص٣٣٥.
(٤١)سورة الصف:آية٢-٣ .
(٤٢)سورة الناس:آية ٤.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٤٣)ديوان بهاء الدين زهير:ص ـ٥٤.
(٤٤) المصدر السابق:ص ٣٣.
(٤٥)سورة سبأ:آية٤٨.
(٤٦) ديوان بهاءالدين زهير:ص ٣٩٣.
(٤٧)المصدر السابق:ص ـ١٥٦.
(٤٨)الأدب الإسلامي الفكرة والتطبيق: ص ١٨٠.
(٤٩)الأدب الإسلامي قضية وبناء:ص ٢٢.
(٥٠)ديوان بهاءالدين زهير:ص ٢٨١ـ٢٨٢.
(٥١)سورة الأنفال:آية٤٤.،وينظر في نفس المعنى في سورتى البقرة: آية٢٣٥،والبروج:آية١٦.
(٥٢) ديوان بهاءالدين زهير:ص ـ٣٠٧.
(٥٣)المصدر السابق:٣٠٩ .
(٥٤)سورةالطلاق:آية ٢.
(٥٥)ديوان بهاءالدين زهير: ص٦٢.
(٥٦)المصدر السابق:ص٩٢.
(٥٧)المصدر السابق:ص٣٨٤.
(٥٨)سورة النمل:آية٦٢.،وانظر كذلك سورة الأعراف:آية٢٠، آية١٨٠.
(٥٩) ديوان بهاءالدين زهير:ص١٦٦.
(٦٠) المصدر السابق: ص١٤.
(٦١) سورة آل عمران:آية٣٧.
(٦٢) ديوان بهاء الدين زهير :ص٣٨١.
(٦٣) المصدر السابق:ص١٤٩.
(٦٤)سورة لقمان:آية٣٤.
(٦٥)أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجرى:ص٣٧.
(٦٦)ديوان بهاءالدين زهير:ص٢٣٠. الزرابي،الواحدةزربية:ما يبسط ويتكئ عليه.النمارق،الواحدة نمرقة ونمرق:الوسادة الصغيرة يتكئ عليها.
(٦٧) سورة الغاشية،الآيتان:١٥ـ١٦.
(٦٨) ديوان بهاءالدين زهير:ص ـ٢٨٢.
(٦٩) منهج الفن الإسلامي:محمد قطب،دار الشروق،١٩٧٢م،ص١٧٤.
(٧٠)ديوان بهاءالدين زهير:ص٥٤.
(٧١)الجامع لأحكام القرآن:القرطبي،تفسير سورة الشعراء،دار إحياء التراث بيروت(د.ط)،ج١٥١/٧.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٧٢)الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف والمرابطين:منجد مصطفى بهجت،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٩٨٦،١م ،صـ٢٣١.
(٧٣)ديوان البهاء زهير:ص١٤٩.
(٧٤)سورة فصلت:آية٤٦.
(٧٥)الاتجاه الإسلامي:صـ٢٢٥.
*"التصوف نزعة تتخذ المجاهدة والرياضة الروحية،وتتجاوز الظاهر الشرعي بالتعمق في الباطن والوصول إلى مرحلة الكشف،بينما كان الزهد اتجاه سلوكيا مضمونه التقشف والإعراض عن الدنيا بالتزام بالعبادات وأدائها كاملة لبلوغ الجنة والنجاة من النار"ينظر:مفهوم الأخلاق في الشعر العربي في العصر العباسي الأول: ص١٠٠.وللمزيد ينظر:التصوف الإسلامي وتاريخه،نيكلسون،ت:أبو العلا عفيفي،لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٦م ص١١٣ .
(٧٦)ديوان بهاءالدين زهير:ص ٥٩.
(٧٧)المصدر السابق:ص٦١.
(٧٨)المصدر السابق:ص ١٧٨.
(٧٩)المصدر السابق:ص ٢٩٦.
(٨٠)المصدر السابق:ص٦٢.
(٨١)المصدر السابق:ص٢٠٥.
(٨٢)المصدر السابق:ص١٠٣.واجد:غاضب.
(٨٣)ديوان بهاءالدين زهيرص٢٧١. تُرِفّ:تروق.
(٨٤) البهاء زهير:عبد الفتاح شلبي،دار المعارف بمصر،ط٢،٠د.ت)ص٥٦.
(٨٥)ديوان بهاءالدين زهير:ص٢٣٠.
(٨٦) المصدر السابق:ص ٢٣٠.
(٨٧) المصدر السابق:ص٣٣٤.
(٨٨)سورة الرحمن:آية١٩.
(٨٩) ديوان بهاءالدين زهير:ص٨٦.
(٩٠)السلوك لمعرفة دول الملوك،المقريزي:تحقيق:محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية،بيروت، ط١٩٧٧،١م، ج١/٤٤٢-٤٤٤.
(٩١) ديوان بهاءالدين زهير:ص١٦.
(٩٢) المصدر السابق:ص١٦٩.
(٩٣) المصدر السابق:ص ١٥٠.
(٩٤) المصدر السابق:ص ٣٨٠. وردت لفظة"أف"في سورة المائدة:آية:٢٣.
(٩٥) ديوان بهاءالدين زهير:ص ١٧٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٩٦)المصدر السابق:ص٢١٤.
(٩٧)سورة يوسف:آية٧٧.
(٩٨) ديوان بهاءالدين زهير:ص ١٧٩.وانظر ١٨٠.
(٩٩)المصدر السابق:ص ٥٤.
(١٠٠)المصدر السابق:ص٣٧٤.
قصة التيه الذي أصاب قوم موسى عليه السلام وردت في سورة "المائدة" في الآيات٢٠-٢٦. قال تعالى:"يا قومِ ادْخُلُوا الأرْضَ المُقَدَّسةَ التي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ولا تَرْتَدُّوا على أدْبارِكُمْ فتَنْقَلِبُوا خاسرينَ ،قالوا ياموسى إنَّ فيها قَوْمًا جبَّارينَ وإنَّا لن ندْخُلَهَا حتى يخْرُجُوا منها فإنْ يَخْرُجُوا مِنْها فإنَّا داخِلُونَ،قال رجلانِ منَ الذينَ يخافُونَ أنْعَمَ اللهُ عليهما ادْخُلُوا عليْهِمُ البابَ فإذا دَخَلْتُمُوهُ فإنَّكُمْ غالبونَ وعلى الله فتوكَّلوا إنْ كنْتُمْ مُؤمنينَ،قالوا ياموسى إنَّا لنْ ندْخُلَهَا أبَدًا ما داموا فيها فاذْهَبْ أنْتَ وَرَبُّكَ فقاتِلا إنَّا هَهُنا قاعدونَ ،قال ربِّ إنِّي لا أمْلِكُ إلا نَفْسي وَأخي فافْرُقْ بيننا وبين الفاسقين،قال فإنَّها مُحَرَّمةٌ علَيْهِمْ أرْبَعينَ سَنَةً يَتيهُونَ في الأرضِ فلا تأسَ على القومِ الفاسِقينَ" .
(١٠١) ديوان بهاءالدين زهير:ص ٢٨٠.
(١٠٢) الأدب العربي بين الصدق الفني والأخلاقي في صدر الإسلام:شوقي عبد الحليم حمادة:مكتبة النهضة المصرية،(د.ط) القاهرة(د.ت)،ص١٥١.
(١٠٣) ديوان بهاءالدين زهير:ص٢٢٠.
(١٠٤)سورة المائدة:آية ٥٤.
(١٠٥)ديوان بهاءالدين زهير:ص ١٨٣.
(١٠٦)الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي:ص٢١٩.
(١٠٧)ديوان بهاءالدين زهير:ص٣٦٣.
(١٠٨)المصدر السابق:ص ٢٣٦.
(١٠٩)المصدر السابق:ص١٩٩.
*قال تعالى:"إذْ أوْحَيْنا إلى أمِّكَ ما يُوحَى،أنِ اقْذِفِيهِ في التَّابُوتِ فاقْذِفِيهِ في اليَمِّ فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ بالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِيَ وعَدُوٌّ لهُ ،وألْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ على عَيْنِي"سورة طه:الآيتان٣٨-٣٩.
(١١٠)تاريخ الأدب الأندلسي،عصر الطوائف والمرابطين،إحسان عباس، دار الثقافة(د.ط)بيروت،١٩٥٩ م،ص١٥٧.
(١١١) ديوان بهاءالدين زهير:ص٥٤.
(١١٢)سورة الحديد:آية٩.
(١١٣) ديوان بهاءالدين زهير:ص ٢٨٣.
(١١٤)سورة الحجرات:آية ١٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(١١٥) ديوان بهاء الدين زهير:ص٣٠٤.
(١١٦) سورة يوسف:آية٤١.
(١١٧) سورة الأحزاب :آية٣٨.
(١١٨) ديوان بهاء الدين زهير:ص١٨٢.
(*)الزهد في اللغة،ترك الشيء والاعراض عنه"والزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا.يقال زهدته في الأمر رغبته عنه.ويقال للرجل إذا انصرف إلى العبادة وترك الاستمتاع بلذائذ الحياة زهد في الدنيا".لسان العرب، جمال الدين بن منظور،ط٣،بيروت دار صادر ١٤١٤هـ١٩٩٤م مادة زهد.والزهد من الظواهر الروحية التي تنشأ في أحضان الدين وتنبثق عنه وتتطور في نطاقه وتتجه إلى أصوله لتستمد منه عبره وعظاته(فالدين و الزهد يكمل كل منهما الأخر ،فالدين إن خلا من الزهد جفت أصوله،وذوت أغصانه وعطبت ثمرته،والزهد بغير دين سحاب جهام لا مطر معه،وسراب خادع يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا).ينظر: دراسات في التصوف الإسلامي ،محمد عبد المنعم خفاجي،مكتبة القاهرة (د.ت)جـ١/٣٥.وقد دعا إليه القرآن كما دعت إليه السنة ،وفصل الرسول صلى الله عليه وسلم القول في الزهد وحدد معالمه حين سأله رجل عن عمل إذا عمله أحبه الله وأحبه الناس،فقال :"ازْهَدْ في الدُّنيا يُحبُّكَ اللهُ ،وازهد فيما عند النَّاسِ يحُبُّك النَّاس". ينظر : نزهة المتقين شرح رياض الصالحين: مصطفى سعد الخن،وأخرون، مؤسسةالرسالة، ط١٥، بيروت١٤٨هـ١٩٨٨م حديث رقم٤٧٢٣،ج١/٤٢٠.
(١١٩) نزهة المتقين:حديث رقم٥١٣،ج١/٤٤٧.
(١٢٠)ديوان بهاءالدين زهير:ص٢١٧.
(١٢١)نزهة المتقين:حديث رقم٥٧٩،ج١/٤٩٨.
(١٢٢) المصدر السابق :حديث رقم٤٨٦،ج١/٤٢٩.
(١٢٣)ديوان بهاءالدين زهير:٢١٧-٢١٨.
(١٢٤) المصدر السابق:ص٢١٧.أباريز:جمع أبريز :الذهب الخالص. القطيفة:ضرب من الأكيسة.
(١٢٥) الأدب في العصر الأيوبي،ص٣٥٦ .
(١٢٦) البهاء زهير:عبد الفتاح شلبي ،ص٥٩-٦٠.
*الاستغفار"هو طلب الغفرُ وستر العيوب والنقائص المهلكة الضارة" ينظر:تهذيب مدارك السالكين،ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله هذبه،عبد المنعم صالح العربي، جدة المكتبة العلمية،١٤٠٢ه،ص١٧٧.
**والتَّوبة في اللغة:يقال :تاب إلى الله يتوب توبا وتوبة،ومتابا :أناب ورجع عن المعصية مع عزم أ ن لا يعود،وأصل تاب :عاد إلى الله ورجع وأناب،وتاب الله عليه،أي عاد عليه بالمغفرة". لسان العرب،ج١/٢٣٣، مادة تاب.وفي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاصطلاح هي:"الرجوع عن المعصية ،والاقلاع عن الذنب،والعزم على ان لا يعود واصلاح العمل في المستقبل" ينظر:تفسير القرآن العظيم:ابن كثير،ابو الفداء الدمشقي،ط١،بيروت ،دار الجيل ١٤١١هـ ،١٩٩١م، تفسير الآية١٥٤ من سورة الأنعام ج٢/ ١٢٩.أماالتوبة شرعا:هي الرجوع إلى الله-تعالى- مع دوام الندم وكثرة الاستغفار.ينظر المصدر السابق: ج٦/٢٥١.

(١٢٧) سورة النساء :آية ١٠٦.
(١٢٨)سورة هود:آية٣.
(١٢٩)ديوان بهاءالدين زهير:ص ٣٢.
(١٣٠)الاتجاه الإسلامي:ص٢٥٤.
(١٣١)سورة البقرة:آية ١٩٧.
(١٣٢)خصائص التصور الإسلامي:سيد قطب،دار الشرق القاهرة،ص١٩٣.وما بعدها.
(١٣٣)الاتجاه الإسلامي:ص ٢٥٨.
(١٣٤)ديوان بهاءالدين زهير:ص٢٧٨.
(١٣٥)سورة آل عمران:آية:١٣٥-١٣٦.
(١٣٦) من قضايا الأدب الإسلامي: صالح آدم بيلو،جدة،دار المنار للنشر،ط١٩٨٥،١م،ص٧٤.
(١٣٧)ديوان بهاءالدين زهير:ص ٣٣.
(١٣٨)المصدر السابق:ص٣٥٤.
(١٣٩) المصدر السابق:ص٣٢.
(١٤٠)معالم الأدب الإسلامي:ص٦١-٦٢.
(١٤١) ديوان بهاء الدين زهير:ص٢٠٣.
(١٤٢) المصدر السابق:ص٢٠٣.
(١٤٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.
(١٤٤)من قضايا الأدب الإسلامي صـ٧٩.
(١٤٥)منهج الفن الإسلامي:محمد قطب،دار الشروق١٤٠٣هـ١٩٨٣م،ط٦،صـ١٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الإمام البغوي،أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء: شرح السنة ، طبعة المكتب الإسلامي(د.ت).

زهير :بهاء الدين،الديوان :دارصادر،دار بيروت للطباعة والنشر (د.ط)بيروت١٣٨٣هـ١٩٦٤م.

بهجت،منجد مصطفى:الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف والمرابطين، مؤسسةالرسالة، بيروت، ط١٩٨٦،١م .

بيلو ،صالح آدم: من قضايا الأدب الإسلامي،جدة،دار المنار للنشر،ط١٩٨٥،١م.

ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ،مطبعة دار الكتب المصرية،مصر ١٩٥٦م.

تميم،محمد شحادة: مفهوم الأخلاق في الشعر العربي في العصر العباسي الأول، ،رسالة دكتوراة،جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

حمادة ،شوقي عبد الحليم :الأدب العربي بين الصدق الفني والأخلاقي في صدر الإسلام،مكتبة النهضة المصرية،(د.ط) القاهرة(د.ت)..

خفاجي ،محمد عبد المنعم :دراسات في التصوف الإسلامي،(د.ط)،مكتبة القاهرة (د.ت).

ابن خلكان،أبو الحسن شمس الدين:وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،تحقيق: إحسان عباس،دارالثقافة،(د.ط)،بيروت،١٩٩٦م.

الخن،مصطفى سعد وآخرون:نزهة المتقين شرح رياض الصالحين،مؤسسةالرسالة،ط١٥،بيروت١٤٨هـ-١٩٨٨م.

ابن الدباغ،عبد الرحمن بن محمد الأنصاري:مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب، تحقيق هـ.ريتر، دار صادر بيروت١٣٧٩هـ.

أبو الرضا،سعد: الأدب الإسلامي قضية وبناء ،عالم المعرفة،ط١، ١٩٨٣م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سبندر،ستيفن :الحياة والشاعر،ت:محمد مصطفى بدوي،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،٢٠٠١م.

الساريسي،عمر عبد الرحمن:معالم الأدب الإسلامي،المصطلح،الخصائص ،القضايا،الفنون،مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ،ط٢٠٠٣،١م.

سلام ،محمد زغلول :الأدب في العصر الأيوبي،(د.ط)دار المعارف،١٩٨٠م.

شلبي،عبد الفتاح :البهاء زهير ،دار المعارف بمصر،ط٢،(د.ت).

عباس،إحسان :تاريخ الأدب الأندلسي،عصر الطوائف والمرابطين،دار الثقافة(د.ط)بيروت،١٩٥٩م.

عبد الرازق، مصطفى:البهاء زهير ،،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة(د.ط)القاهرة ٢٠١٢م،ص١٠

العسقلاني،ابن حجر:فتح الباري يشرح صحيح البخاري،تحقيق،محمد فؤاد عبد الباقي،محب الدين الخطيب،كتاب أحاديث الأنبياء(د.ط) المكتبة السلفية(د.ت).

ابن العماد،أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي:شذرات الذهب في أخبار من هب،دارالآفاق الجديدة(د.ط)،بيروت (د.ت)

القاعود،حلمي محمد:الأدب الإسلامي الفكرة والتطبيق،دارالنشر الدول،السعودية ،الرياض،ط١٤٢٨،١هـ ٢٠٠٧م.

القرطبي،أبو عمر يوسف بن عبد الله:الجامع لأحكام القرآن،تفسير سورة الشعراء،دارإحياء التراث بيروت (د.ط)

قطب،سيد: التصوير الفني في القرآن الكريم،دار الشروق،القاهر (د.ط)،١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

:خصائص التصور الإسلامي ،دار الشرق القاهرة،(د.ط)،(د.ت).

قطب،محمد: منهج الفن الإسلامي ،،دار الشروق،١٩٧٢م . ودار الشروق، ١٤٠٣هـ١٩٨٣م،ط٦.

ابن القيم الجوزية،شمس الدين أبي عبد الله: تهذيب مدارك السالكين ،هذبه،عبد المنعم صالح العربي،جدة المكتبة العلمية،١٤٠٢هـ.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ابن كثير،أبو الفداء الدمشقي:البداية والنهاية،توثيق،علي محمد معوض،دار الكتب العلمية،ط٢،بيروت٢٠٠٣ .

:تفسير القرآن العظيم:ط١،بيروت،دار الجيل ١٤١١هـ،١٩٩١م، ج٦.

كيلاني،**نجيب** : الإسلامية والمذاهب الأدبية ، مؤسسة الرسالة بيروت،١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

المقريزي،**تقي الدين** أحمد:السلوك لمعرفة دول الملوك،تحقيق:محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٧٧م.

ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب ، ط٣،بيروت دار صادر ١٤١٤هـ١٩٩٤م.

نيكلسون : في التصوف الإسلامي وتاريخه،ترجمة أبو العلا عفيفي ،لجنة التأليف والترجمة،١٩٥٦م.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner